
العاصفة النووية
Looloo
www.dvd4arab.com

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدُّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدَّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ - هجـــوم ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. الرابعة والربع عصرًا ..

قطـع الدكتـور (نـاظم) ، رئيس إدارة الأبحـاث التابعة لجهاز المخـابرات العلميـة المصريـة ، ذلك الممر الطويل ، فى الطابق الثالث تحت الأرض ، من مبنى الجهاز ، فى خطوات واسعة سريعة ، حتى بلغ منطقة خاصـة ، يشير الشـعار عند مدخلهـا ، مع الشريط الأحمر الرفيع ، إلى أنها منطقة محظورة ، إلا لعدد محدود مـن العـاملين ، الذيـن تحمـل بطاقـات هويتهم نفس الشـعار ، مع الشريط الرفيـع ، فتوقَّف عند المدخل ، ودسَّ بطاقتـه فـى تجويف رفيع ، ولم يكد يفعل ، حتى بدأ الجزء المتبقِّى من الممر فى التحرك فى بطء ، فى اتجاه حجرة القائد الأعلى فى نهايته ، فانتزع الدكتور (ناظم) بطاقته ، ودسَّها فى جيبه ، وهو يخطو إلى ذلك الجزء ، الذى حملـه نحو الحجرة ، فى نفس الوقت الذى انبعثت فيه عدة خيوط

رفيعة من أشعة الليزر ، من ثقوب صغيرة فى السقف والجدران ، راحت تمسح وجه الدكتور (ناظم) وجسده ، فى سرعة ودقة بالغتين ، قبل أن ينبعث من مكان ما صوت آلى ، يقول :

- تم تعرُّف الدكتور (ناظم) .. الدخول متاح .. شكرًا لاستجابتكم لنظام الأمن الجديد .

انفتح باب حجرة القائد الأعلى ، فى تلك اللحظة ، فى حين توقَّف ذلك الجزء من الممر عن الحركة ، فدلف الدكتور (ناظم) إلى الحجرة ، قائلاً فى حماس :

- لقد حصلت على معلومات بالغة الأهمية، بخصوص (طارق) .

بدا الاهتمام البالغ على وجه القائد الأعلى ، وهو يستقبله ، قائلاً :

- هات ما لديك يا رجل .

جلس الدكتور (ناظم) على المقعد المقابل لمكتب القائد الأعلى ، وهو يخرج ورقة مطبوعة من جيبه ، ويقول :

- ذلك الشاب كان يعمل كخبير طاقة ، فى جهاز

الأمن الخاص برياسة الجمهورية ، بعد الاحتلال مباشرة(*) .

ارتفع حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول :

- ربَّاه ! إنها معلومة بالغة الأهمية بحق .

ثم عاد حاجباه يلتقيان فى توتر ، مع استطراده :

- ولكن كيف لم يتم كشف هذا الأمر ، عندما التحق الشاب بالعمل لدينا ؟! المفترض أن تكون لدينا كل المعلومات الخاصة به ، قبل أن يشترك فى مشروعات بالغة الخطورة والسرية كهذه .

وازداد انعقاد حاجبيه فى غضب ، وهو يضيف :

- هذا تقصير رهيب يا دكتور (ناظم) ، ولابد من عقاب المسئولين عنه بمنتهى القسوة والصرامة .

ثم مال إلى الأمام ، متابعًا فى حدة :

- ماذا لو أن جاسوسًا سعى للتسلُّل إلى صفوفنا ؟ بل وماذا لو أن (طارق) هذا نفسه جاسوس خطير ، يعمل لحساب جهة أجنبية ؟! هل كنا سنفشل فى الحصول على معلومة بالغة الأهيمة كهذه عنه ، حتى يحصل على ما يبتغى ؟!

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

أشار الدكتور (ناظم) بيده ، قائلاً :

- رويدك أيها القائد .. لم يكن هناك تقصير أو إهمال فى هذا الشأن .. لقد تحرّى الرجال عن (طارق) بمنتهى الدقة ، عند ترشيحه للعمل معنا ، ولكن لم يكن بإمكانهم التوصّل إلى هذه المعلومة حينذاك ، فلم تكن متاحة على شبكة المعلومات العامة أو السرية .

قال القائد الأعلى فى غضب :

- ولكنك نجحت فى الحصول عليها الآن .

تنهّد الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- الأمر الآن يختلف كثيرًا .

ثم نهض من مقعده ، وتابع فى اهتمام ، وهو يتحرك فى الحجرة :

- تلك المعلومة كانت تندرج تحت بند السرية البالغة ، داخل الشبكة المحدودة لجهاز أمن الرئيس السابق ، نظرًا لاستقلالية جهاز أمن الرياسة ، وتبعيته المباشرة لرئيس الجمهورية ، وطبقًا للقانون الخاص بحماية المعلومات ، والذى صدر بعد جلاء غزاة الفضاء ، ونجاحنا فى استعادة كل معلوماتنا

وتاريخنا(*) ، ولهذا لم يكن من الممكن أن يتوصّل إليها الرجال ، مهما بذلوا من جهد ، أما الآن ، ولأننا نعيد البحث ، فى إطار من الشكّ ، فقد حصلت على موافقة محدودة ، لربط شبكة معلوماتنا بالشبكة المعلوماتية الرياسية ، عسى أن أجد لديهم ما يفوق ما لدينا .

وفرقع سبّابته وإبهامه ، مضيفًا :

- وهذا ما حدث بالفعل .

أومأ القائد الأعلى برأسه متفهمًا ، وهو يتراجع فى مقعده ، وعقله ينطلق مسترجعًا ذكريات قريبة للغاية .

ذكريات بضع ساعات مضت ..

منذ تلك اللحظة ، التى استقبل فيها الدكتور (ناظم) فى مكتبه ، الدكتور (فؤاد راغب) ، عالم أبحاث الخلية المعروف ، الذى جاء ليطرح بحثًا مدهشًا ، حول عقار جديد ، يجعل الخلايا البشرية قابلة للشحن بالطاقة النووية ، وقادرة على تخزينها ، وتحويلها إلى صور أخرى من الطاقة ..

(*) راجع قصة (كنز الفضاء) .. المغامرة رقم (٨٤) .

وبعد أن طرح الرجل نظريته ، وأخرج عينة العقار من حقيبته ؛ ليقدمها للدكتور (ناظم) ، فوجئ بأن أحدهم قد استولى على عقاره ، واستبدل به بعض الماء الملون ، فهاجمته أزمة قلبية حادة ، وهوى جثة هامدة ..

وبعدها مباشرة ، بدأت الأحداث العنيفة ..

مساعد الدكتور (فؤاد) الذى يحمل اسم (غبريال) ، احتال لدخول حجرة الطاقة ، التابعة لقسم العلاج النووى بالمستشفى المركزى ، وشحن جسده بالطاقة ، وقضى على مهندس الوحدة ، وكل الطاقم الفنى ..

وعلى الرغم من أن (نور) و (أكرم) كانا فى المكان بالفعل ، إلا أنهما عجزا عن التصدى لذلك الخصم الخارق ، الذى نسف جدران المكان ، قبل أن يختفى تمامًا ، وكأنما انشقت الأرض وابتلعته بغتة ..

ثم بدأت الاغتيالات الوحشية المخيفة ..

العدو النووى الخارق اغتال النائب العام السابق ، ووزير الخارجية الأسبق ، ومدير المخابرات العامة الحالى ..

فعل كل هذا بقوته الرهيبة ، مطيحًا بكل ما ، ومن يعترض طريقه ، وراح يمزق ضحاياه بلا رحمة أو هوادة ..

وبكل همة ونشاط ، راح (نور) وفريقه يسعون لكشف حقيقة خصمهم الخارق ، والبحث عن هويته الحقيقية ، بعد أن كشفوا أنه ليس (غبريال) الحقيقى ، وأنه يرتكب كل ما يرتكبه ، فقط للثأر من ضحاياه ، بسبب أمر لم يمكنهم التوصل إليه بعد ..

واستكمالاً للفريق ، ضم إليه (نور) خبيرًا جديدًا فى الطاقة وعلوم الأشعة ، وهو المهندس (طارق) ، الذى بهر الجميع بمهاراته المختلفة ، وقدراته المدهشة ، وبراعته فى الحركة والقتال ، وعبقريته فى التخطيط والمناورة ، إلى الحد الذى أثار حسد (أكرم) وتوتره ، ودفعه إلى الاشتباك معه عدة مرات ، قبل أن يعترف بتفوقه ، ويقرر نقله من خانة الصراع إلى قائمة الأصدقاء ..

ووسط كل هذا ، وفى أثناء مواجهة مباشرة سريعة مع الخصم النووى ، تعرض (نور) و (أكرم) و(طارق) إلى حادث سيارة عنيف ، نجا منه الأخيران

فى صعوبة ، فى حين أصيب (نور) إصابة شديدة ، وفقد وعيه تمامًا ..

وكان من الضرورى أن يتم تعيين قائد جديد للفريق ، حتى يواصل الصراع ؛ لإيقاف ذلك الخصم النووى ، ومنعه من مواصلة رحلة الثأر الرهيبة ..

ووقع اختيار القائد الأعلى على (طارق) ..

ولكن الدكتور (ناظم) لم يعلن ارتياحه لهذا الأمر.

بل وأعلن أن أعماقه تكتظ بعشرات الشكوك ، ونقاط الغموض ، حول هذا الشاب بالذات ..

لذا ، فقد تراجع القائد الأعلى عن قراره ، وانتخب (رمزى) لقيادة الفريق ، فى نفس الوقت الذى طلب فيه من الدكتور (ناظم) جمع كل التحريات الممكنة عن (طارق) ، و ...

« كيف انتهت خدمته فى أمن الرياسة ؟! »

قفز السؤال إلى ذهن القائد الأعلى بغتة ، قاطعًا تسلسل أفكاره ، فنقله بسرعة إلى لسانه ، وهو يتطلع فى اهتمام إلى الدكتور (ناظم) ، الذى صمت لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ لقد تم فصله من العمل .

ارتفع حاجبا القائد الأعلى فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ فصله ؟!

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا سيدى .. تم فصله؛ لمخالفته قوانين السرية المطلقة ، وتجاوزه الحدود المسموح بها فى هذا الشأن .

تواصلت دهشة القائد الأعلى لبضع لحظات ، ثم لم يلبث حاجباه أن انخفضا ، ثم واصل طرفاهما انخفاضهما ، حتى التقيا على نحو يشف عن التوتر الزائد ، وهو يمط شفتيه ، قائلاً :

ـ يبدو أن الأمر أخطر مما ينبغى يا دكتور (ناظم) .

ثم زفر فى حدة ، قبل أن يتابع :

ـ وأننا لن نستعيد شعورنا بالارتياح قط ، إلا بعد عودة (نور) لقيادة الفريق .

وافقه الدكتور (ناظم) بإيماءة من رأسه ، مغمغمًا :

ـ بالتأكيد .

لم يكن كلاهما يدرى ، فى تلك اللحظة ، أن (نور) ما زال يرقد فاقد الوعى ، فى قسم رعاية الحالات الحرجة ، فى المستشفى المركزى ، وإلى جواره

تجلس زوجته (سلوى) ، فى انتظار عودته إلى وعيه ..

وأن المستشفى يتعرض للهجوم ..

هجوم رهيب ، من ذلك الخصم النووى ..

والأخطر أن ذلك الهجوم يستهدف المقدّم (نور الدين محمود) ..

شخصيًا(*) ..

* * *

تفجّرت موجة هائلة من الرعب والفزع ، فى المستشفى المركزى ، مع دوى الانفجارات المتتابع ، والنيران التى راحت تشتعل فى أماكن شتى ، بالطابق الأرضى ، وراح الجميع يتدافعون فى الممرات والطرقات ، فى محاولة للفرار من خطر داهم ، تمثّل فى ذلك العدو النووى ، الذى أخذ يشق طريقه بالنار والدم ، نحو الطابق الثانى من المستشفى ، حيث قسم رعاية الحالات الحرجة ، الذى يرقد فيه (نور) فاقد الوعى ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (العدو الخارق) .. المغامرة رقم (١١٥) .

وكرد فعل تلقائى ، بدأت أجهزة مقاومة الحريق فى العمل ، وانطلقت رشاشات المياه فى الأسقف ، لتغمر كل شىء ، فى حين أجرى الكمبيوتر اتصالاً فوريًا برجال الإطفاء ، وأقرب نقطة شرطة ..

وفى الطابق الثانى ، تعلّقت عينا (سلوى) بشاشة مراقبة ، تنقل ما يحدث فى الطابق الأرضى من عنف ودمار ، وارتجف جسدها فى عنف ، وسرت فيه قشعريرة باردة كالثلج ، وهى تتمتم :

ـ يا إلهى ! (نور) !!

شىء ما فى أعماقها أنبأها بأن كل هذا يستهدف زوجها (نور) ..

(نور) وحده ..

ونفس الشىء أخبرها ، أن ذلك النووى يتعمّد إعلان وجوده هذه المرة ..

وعلى نحو سافر ..

إنه لم يحاول حتى إحاطة نفسه بذلك الضوء الساطع ، الذى يبهر خصومه ، ويمنعهم من تحديد هويته ..

ولكنه يتحرّك هذه المرة كالعاصفة ..

ويطيح بكل ما يعترض طريقه ..

رجال الأمن ..

ممرضى المستشفى ..

وحتى المرضى ..

والجدران ..

وارتجف قلبها بين ضلوعها فى عنف ، وردَّدت مرة أخرى ، وهى تتلفت حولها فى ارتياع :

- رباه ! (نور) !! (نور) فى خطر !!

لم تكن تدرى ما الذى ينبغى عليها فعله ؛ لإنقاذ زوجها ، من مثل هذا الموقف ، لذا فقد راحت تتحرك فى ذعر ، فى كل الاتجاهات ، وهى تفرك كفيها ، قائلة لنفسها :

- لا يا (سلوى) .. لا .. لا تفقدى أعصابك ، فى هذا الموقف .. حياة زوجك تعتمد على تماسكك وحسن تصرفك .. هيا .. ابحثى عن مخرج .. ابحثى عن سبيل للفرار ، قبل أن يبلغك ذلك الوحش النووى الآدمى ..

كان عقلها حائرًا مضطربًا بشدة ، إلا أنه أدرك حقيقة واحدة ..

هى أن أوّل ما ينبغى فعله ، هو إبعاد (نور) عن قسم رعاية الحالات الحرجة ..

وفى توتّر بالغ ، اندفعت نحو فراش (نور) ، وجرت عيناها على الأسلاك والأنابيب الرفيعة ، التى تمتدّ من وإلى جسده ، وقالت فى هلع :

- يا إلهى ! ترى أى تلك الأشياء يمكن رفعها ، دون تعريض حياته للخطر ؟!

لم يكن هناك شخص يمكن استشارته ، فى مثل هذه الظروف ، لذا فقد راحت تنتزع عنه كل ما يعوق حركة الفراش ، وهى تقول فى اضطراب :

- سامحنى يا (نور) .. هذا كل ما يمكننى فعله .

كان زوجها يرقد صامتًا مستسلمًا ، غائبًا عن الوعى ، عندما أزالت كابح إطارات الفراش ، ودفعته أمامها إلى خارج الحجرة ، وهى تلهث من فرط التوتّر والانفعال ، وأخذت تعدو به عبر ممرات القسم الخالية ، ودوى الانفجارات يبلغها من الطابق الأوّل ، معلنًا أنه لم يعد يفصلها عن النووى سوى خطوات قليلة ..

وبكل ذعرها وارتياعها ، هتفت :

- رباه ! ماذا أفعل ؟! ماذا أفعل ؟!

واصلت عدوها عبر الممرات ، وهى تدفع (نور) وفراشه أمامها ، و ...

وانتبهت فجأة إلى أن الانفجارات قد توقفت تمامًا .

بل ، لقد تلاشت كل الأصوات ، فيما عدا وقع أقدام تصعد فى درجات السلم ، إلى الطابق الثانى ، فى بطء واثق قوى ..

وكان هذا يعنى أمرًا واحدًا ..

لقد أزال النووى كل العقبات من طريقه ..

وها هو ذا يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ولم يعد لديها ما تفعله ..

أو تفرّ إليه ..

واقترب وقع قدمى النووى ..

واقترب ..

واقترب ..

وفى ارتياع ، راحت تتلفت حولها ، هاتفة :

- رباه ! ماذا أفعل ؟! ماذا أفعل ؟!

وفجأة ، ومع آخر حروف كلماتها ، لمحت تلك الحجرة ، فى نهاية الممر ..

كانت الحجرة الوحيدة المفتوحة ، فى الممر كله ، ووقع قدمى النووى يوحى بأنه سيبلغ الطابق ، بعد ثوان معدودة ، و ...

واندفعت (سلوى) بالفراش الصغير ، نحو تلك الحجرة المفتوحة ، ودفعت الفراش داخلها ، وقفزت خلفه ، لتغلق الباب فى إحكام ، فى نفس اللحظة التى بلغ فيها النووى الطابق ..

وبينما كانت تلهث فى عنف ، داخل الحجرة المغلقة ، التى لم تكن سوى مخزن عقاقير الطوارئ ، لقسم علاج الحالات الحرجة ، كان النووى يدير عينيه فى المكان فى بطء ، ثم يتجه نحو الحجرة ، التى كان (نور) يرقد فيها منذ قليل ..

وبكرة نارية محدودة ، نسف باب الحجرة ، قبل أن يقتحمها فى عنف ، وعيناه تضيئان كمصباحين ساطعين ..

ثم انعقد حاجباه فى غضب ، عندما وقع بصره على الحجرة الخالية ..



واندفعت (سلوى) بالفراش الصغير ، نحو تلك الحجرة المفتوحة ، ودفعت الفراش داخلها ، وقفزت خلفه

وبكل غضبه صرخ :

ـ اللعنة !

ومع صرخته ، انطلقت من قبضته كرة من النار ، نسفت الجدار المقابل ، وأطاحت به فى قوة ..

واندفع خارج الحجرة ، وهو يطلق صرخة غاضبة أخرى ، مقتحمًا الحجرة المجاورة ، التى كانت خالية بدورها ، مما ضاعف من غضبه ، ودفعه لنسف جدارها أيضًا ..

ومن مكمنها ، داخل حجرة عقاقير الطوارئ ، سمعت (سلوى) الانفجارات تتوالى ، من حجرة إلى أخرى ، مع صرخات النووى الغاضبة الثائرة ..

وعلى الرغم من أبواق سيارات الشرطة ، التى بلغت مسامعها ، مختلطة بدوى الانفجارات ، إلا أنها انكمشت فى مكانها هلعة مذعورة ، مدركة أن خصمها الخارق سيبلغها حتمًا ..

وأنه لن يتورَّع عن نسف المستشفى بأكمله ، دون أن يطرف له جفن ؛ لبلوغ مأربه ..

وفى غمرة مشاعرها وانفعالاتها ، وعلى الرغم من معرفتها أن الفريق يجتمع الآن فى مكان بعيد للغاية

عنها، وأنه من المستحيل أن يتمكن رفاقها من الوصول إليها ، قبل أن يبلغها النووى ، إلا أن سبابتها وثبت تضغط ذلك الزر الصغير ، فى الإطار الجانبى لساعتها ، مطلقة إشارة الاستغاثة ..

وكانت هذه الضغطة هى محاولة النجاة الأخيرة ، على الرغم من كل ما فيها من يأس ..

واستحالة ..

* * *

« هذا الأمر معقد للغاية .. »

ألقى الدكتور (حجازى) العبارة فى حيرة واضحة ، وهو يراجع مع (طارق) أوراق الدكتور (فؤاد) ، على شاشة الكمبيوتر ، وعاد يتطلع مرة أخرى إلى تلك التركيبات المعقدة ، قبل أن يتابع فى اهتمام :

ـ المفترض ، طبقًا لتلك الأبحاث ، أن يحدث تحور تام فى الخلايا ، بحيث تصبح لأغلفتها الخارجية القدرة على الاحتفاظ بالطاقة داخلها ، فى نفس الوقت الذى يمكنها فيه إحداث تغيرات فى تلك الطاقة ، وتحويلها إلى أية صورة أخرى .

أجابه (طارق) :

ـ وهذا ما رأيناه بأنفسنا ، فذلك النووى يطلق الضوء من عينيه ، وكرات النار والصواعق من قبضتيه ، ويمكنه إحاطة نفسه بغلاف متغيِّر الذبذبة ، من الطاقة الكهرومغنطيسية ، بحيث يخفى جسده ، أو يضببه بضوء ساطع مبهر .

وتنهد فى عمق قبل أن يضيف :

ـ والله (سبحانه وتعالى) أعلم بما يمكن أن يفعله أكثر من هذا .

هز الدكتور (حجازى) رأسه فى بطء ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح يا ولدى ، ولكننى مازلت أصر على أن الطبيعة تفرض نفسها وقوانينها فى النهاية ، أن تلك الخلايا ، مهما حدث فيها من تحورات ، ستظل تحتفظ بنفس طبيعتها البشرية ، التى خلقها عليها الله (عز وجل) ، وأن ذلك الجهد الخارق ، الذى تبذله طوال الوقت ، منذ امتلأت بالطاقة النووية ، لا بد أن يؤدى فى النهاية إلى انهيارها .

أشار (أكرم) بسبابته ، قائلاً :

ـ السؤال هو متى يا دكتور (حجازى) ؟! متى تنهار خلايا ذلك الوغد ؟!

عاد الدكتور (حجازى) يهزّ رأسه ، وقال :

ـ هذا ما نبذل قصارى جهدنا للتوصّل إليه يا ولدى .

مطّ (أكرم) شفتيه ، وقال فى حنق :

ـ أتعشّم أن تتوصّلوا إلى هذا ، قبل أن ينتهى من حملته الثأرية الوحشية هذه .

وابتسم فى سخرية عصبية ، مستطردًا :

ـ أو قبل أن يظفر بنا .

أطلقت (نشوى) زفرة متوترة ، وأشارت إلى جهاز الكمبيوتر ، قائلة :

ـ الواقع أن أمر ذلك النووى شديد الصعوبة والتعقيد بالفعل يا (أكرم) ..

إننى أبذل قصارى جهدى ، وأراجع ملفات كل القضايا ، التى جمعت ما بين الضحايا الثلاث ، وأجمع المعلومات عن كل شخص ارتبط بها ، وعن أقارب المتهمين والمدانين فيها ، حتى الدرجة الرابعة ، وعلى الرغم من هذا ، فلم يمكننى التوصّل إلى هويته الحقيقية قط .

تراجع (طارق) ، والتقى حاجباه فى تفكير عميق ، قبل أن يلتفت إليها ، قائلاً :

ـ إننى أفكّر فى هذا منذ فترة ، وأعتقد أنه يمكننا التوصّل إلى هوية ذلك الشاب ، أو على الأقل إلى القضية التى أطلق كل غضبه وقوته من أجلها ، بوسيلة أخرى .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

ـ أية وسيلة هذه ؟!

لم يجب (طارق) سؤاله مباشرة ، وإنما احتفظ وجهه بدلالات التفكير العميق لبضع لحظات ، قبل أن يشير بسبّابته ، ويسأل (نشوى) فى اهتمام :

ـ أخبرينى .. هل يمكنك التعامل مع برامج التماثل ثلاثية الأبعاد ؟!

أجابته بسرعة :

ـ بالطبع .. لقد درست هذا الأمر جيدًا ، ولدى برنامج رائع فى هذا المضمار .

اعتدل بجسده كله ليواجهها ، قائلاً :

ـ عظيم .. يمكننا إذن أن نقوم بتجربة دقيقة ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق فجأة أزيز جهاز استدعاء الطوارئ ، وارتسم على شاشته اسم

(سلوى) ، قبل أن يتم تحديد موقعها على خريطة للمدينة ، فى سرعة مدهشة ، فهتفت (نشوى) فى ارتياع :

- ربَّاه ! إنها أمى .. يا إلهى ! أرجو ألا يكون مكروهٌ قد أصاب أبى .

قفز (أكرم) إلى جهاز المتابعة الأمنية العاجلة ، هاتفًا :

- سنعرف على الفور .

ضغط زر الجهاز فى لهفة متوتِّرة ، وتعلَّقت عيون الجميع بشاشته فى توتر بالغ ، حتى ظهرت على شاشته عبارة محدودة ، حولها الجهاز إلى صوت آلى ، يقول :

- هجوم عنيف على المستشفى المركزى .. نفس العدو الخارق .

شهقت (نشوى) فى ارتياع :

- ربَّاه ! أبى !! أمي !!

استلَّ (أكرم) مسدسه ، وهو يندفع نحو الباب ، هاتفًا :

- هيَّا بنا .

لم تقو ساقا (نشوى) على حملها ، وقلبها يخفق فى قوة ، وهمَّ (رمزى) بالنهوض من مقعده ، ولكن (أكرم) صاح به فى صرامة عصبية :

- هليوكوبتر الطوارئ النفاثة لن تحمل سوى رجلين .

ثم لوَّح بمسدسه ، مستطردًا فى لهجة آمرة :

- هيَّا يا (طارق) .

لم يكن (طارق) فى انتظار النداء ، فقد التقط حقيبته فى لهفة ، فور سماعه عبارة الجهاز ، واندفع نحو الباب ، وعبره بالفعل قبل أن يبلغه (أكرم) ، الذى انعقد حاجباه فى توتر ، إلا أنه لم يعلِّق على الموقف ، حتى بلغا الهليوكوبتر ، فوثب (طارق) إلى مقعد قيادتها ، قائلاً :

- أسرع يا (أكرم) .. لا بد أن ننطلق بأقصى سرعة ، وإلا وصلنا بعد فوات الأوان .

قفز (أكرم) إلى الهليوكوبتر ، هاتفًا :

- هل يمكنك قيادتها ؟!

ربط (طارق) حزام مقعده ، مجيبًا فى حزم :

- إلى حد ما .

لم يكن (أكرم) قد أحكم ربط حزام مقعده ، عندما ارتفع (طارق) بالهليوكوبتر بغتة ، على نحو يشف عن إجادة تامة للطيران ، ومهارة مدهشة فى التحليق ، جعلت الهليوكوبتر تنطلق بسرعة كبيرة ، دون أن تفقد توازنها لحظة واحدة ..

وفى انبهار ، هتف (أكرم) :

- يا إلهى ! إنك تقود بمهارة مبهرة بالفعل .

غمغم (طارق) فى تحفظ :

- لقد تلقيت بعض دروس الطيران .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يغمغم فى دهشة مستنكرة :

- بعض ؟!

لم يُعلق (طارق) على العبارة ، ولاذ بالصمت التام ، وهو ينطلق بالهليوكوبتر بأقصى سرعة ممكنة ، نحو المستشفى المركزى ..

وفى نفس اللحظة ، كانت (نشوى) تتحرك داخل المقرّ الصحراوى فى عصبية شديدة ، هاتفة :

- لا .. لا يمكننى الجلوس هنا ساكنة ، وأبى وأمى يواجهان خطر الموت هناك .. لا بد أن أذهب إليهما .. لا بد .

أجابها الدكتور (حجازى) فى توتر شديد :

- لن يمكنك الوصول فى الوقت المناسب أبدًا يا ابنتى .. لقد رحل (أكرم) و (طارق) بالهليوكوبتر ، ولم يعد لدينا سوى السيارة الصحراوية ، وسرعتها تجعلنا نحتاج إلى نصف الساعة على الأقل ، قبل أن نبلغ المستشفى .

تنهَّد (رمزى) ، مكملاً :

- والكثير يمكن حدوثه فى نصف الساعة هذه ..

وخفضْ عينيه فى مرارة ، مستطردًا :

- الكثير جدًّا .

استدارت إليه فى عنف ، هاتفة :

- كان ينبغى أن تذهب معهما ، كان لا بد أن تفعل .

شعر الدكتور (حجازى) بالقلق ، وهو ينقل بصره بينهما ، فى حين أجابها (رمزى) بسرعة :

- الهليوكوبتر النفّاثة صغيرة الحجم ، ولا تصلح لحمل أكثر من رجلين .

صاحت به :

- ولماذا لم تكن أوَّل الرجلين ؟! إنك قائد الفريق الآن ، وينبغى أن ..

قاطعها فى حزم ، قبل أن تكمل عبارتها :

ـ أن أتخذ القرار الصحيح المناسب ، طبقًا للموقف ، ومقتضيات المواجهة .

وازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يكمل فى مرارة :

ـ وهذا ما فعلته .

حدقت فى وجهه بتوتر بالغ ، فرفع عينيه إليها ، مضيفًا :

ـ لقد أرسلت أفضل رجلين لدينا بالفعل .. الدكتور (حجازى) لن يمكنه التصدى لموقف كهذا ، وأنا لم أستعد لياقتى بعد .. كان هذا أفضل قرار يمكن اتخاذه ، فى ظرف شديد الحساسية كهذا .

ارتجفت شفتاها بضع لحظات ، وهى تواصل التحديق فى وجهه ، ثم لم تلبث أن ألقت نفسها بين ذراعيه فجأة ، وتركت دموعها تتفجر كينبوع ساخن من عينيها ، وهى تدفنهما فى صدره ، قائلة :

ـ سامحنى يا (رمزى) .. سامحنى .. الموقف يفوق قدرتى على الاحتمال .. لا يمكننى أن أتخيل نفسى فى موقف سلبى كهذا ، وأبى وأمى يواجهان خطر الموت ، على مسافة عدة كيلومترات منى .

احتواها بين ذراعيه فى حنان ، وضمها إليه فى رفق ، هامسًا :

ـ سيكون كل شىء على ما يرام بإذن الله (العلى القدير) يا زوجتى العزيزة .. سيكون كل شىء على ما يرام ..

فى نفس اللحظة التى تجاوزت فيها العبارة شفتيه ، كانت (سلوى) ترتجف فى مخبئها ، كما لو كانت عصفورًا صغيرًا أصابه البلل ، فى ليلة قارصة البرودة ، وأصوات انفجار الأبواب والجدران تقترب منها بسرعة مدهشة ، مع صرخات الغضب المخيفة ، التى يطلقها ذلك النووى ، بعد كل حجرة خالية ..

وكان من الواضح أنه سيبلغ مخزن عقاقير الطوارئ بعد لحظات معدودة ..

لحظات تأتى بعدها النهاية لا ريب ..

نهايتها ..

ونهاية (نور) ..

ولم يكن هناك مكان آخر ، يمكنها أن تذهب إليه ..

لقد وضعت نفسها فى المصيدة ، ولم يعد هناك من سبيل للفرار ..

أى سبيل !

وخفق قلبها بأعنف ما يمكنه ، عندما توقّف وقع الأقدام أمام باب المخزن ..

ثم هوى بين قدميها ، عندما انطلقت الصرخة الغاضبة ..

وانطلقت معها كرة جديدة من كرات النار ..

كرة أصابت باب الحجرة ، وانتزعته من مكانه فى عنف ، ودفعته حتى ارتطم بها ، ودفعها مع فراش (نور) حتى نهاية الحجرة ، قبل أن يرتطم طرفه العلوى بالجدار ، ويميل كله فوق فراش (نور) ..

ومن خلف الباب ، وبعينين أدركهما تعب وذعر الدنيا كلها ، لمحت (سلوى) وجه ذلك الشاب ..

وجه النووى ..

وكان فى تلك اللحظة يرفع قبضته نحو الداخل ، استعدادًا لإطلاق كرة نارية جديدة ..

كرة ستنسف الحجرة كلها ، بكل ما فيها ، ومن فيها ..

وهذا يعنى أنها النهاية المحتومة .. للجميع ..

* * *

٢ - مواجهة ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. الرابعة والنصف عصرًا ..

لحظة واحدة ، التقت فيها عينا (سلوى) بعينى القاتل ..

لحظة انتفض لها جسدها كله فى عنف ، وسرت فيه موجة باردة كالثلج ، تجمّدت لها أطرافها ، وارتجف لها كيانها كله ، كما لو أن صاعقة قوية أصابته ..

وفى تلك اللحظة ، قرأت (سلوى) فى عينى النووى الكثير ..

ورأت ما تعجز آلاف الكلمات عن وصفه ..

رأت الغضب ..

المقت ..

الثورة ..

الشراسة ..

الوحشية ..

بل رأت الشيطان نفسه ، يطلّ من عينين سكنهما الجنون ، واستقرّ فى أعماقهما الشر مجسّمًا ..

وبعد تلك اللحظة ، تألّقت عيناه ، وسطعتا ..

وانطلق منهما ذلك الضوء المخيف ..

الرهيب ..

وبكل ذعر الدنيا ، صرخت (سلوى) ، وهى تتراجع ، محاولة حماية زوجها الغائب عن الوعى ، حاجبة عينيها بكفيها ، من ذلك الضوء المبهر ، الذى يغشى كيانها كله ، و ...

« أنت هناك .. »

انطلقت الصيحة بغتة ، من بداية الممر ، وانطلق معها شعاعان من الليزر ، شقا طريقهما نحو النووى ، وتلاشيا على قيد سنتيمترات من جسده ، فوق ذلك الحاجز الكهرومغنطيسى الواقى ، الذى أحاط نفسه به ..

وفى ثورة غاضبة ، استدار النووى يواجه رجال الشرطة ، الذين هرعوا إلى المكان ..

وبلا تردد ، أطلق الرجال نحوه عشرات من خيوط الليزر القاتلة ..

ولم يكن مصير تلك الخيوط بأفضل من مصير سابقتها ..

لقد تحطمت وتلاشت ، فوق الدرع الواقية مرة أخرى ..

وفى توتر بالغ ، هتف أحد رجال الشرطة :

ـ استخدموا مدفعًا .. أطلقوا نحوه صاروخًا ، و ...

صرخ النووى فى غضب ، قبل أن يتمّ الرجل عبارته ، ورفع قبضته نحوه ..

وأطلق كرة نارية جديدة ..

وتراجع رجال الشرطة فى ذعر ، أمام تلك الكرة المخيفة ، التى شقت طريقها عبر الممر ، لترتطم بجسد أحدهم ، وتقتلعه من مكانه ، دافعة إياه أمامها لخمسة أمتار كاملة ، قبل أن يصدم بالجدار ، ويسقط أرضًا ..

ولكن العجيب أن تلك الكرة النارية لم تقتله ..

فقط أحرقت قميصه ، وسترته الواقية ، ومزّقت أربطتها كلها ..

وانعقد حاجبا النووى فى غضب هادر ..

وانطلقت منه صرخة أخرى ..

صرخة شفت عن ثورة عارمة هذه المرة ..

ومع صرخته ، هتف أحد رجال الشرطة ثانية :

ـ أطلقوا نحوه صاروخًا .

واخترقت العبارة أذنيه فى قسوة ..

لقد أدرك أن طاقته قد انخفضت بسرعة هذه المرة .

بسرعة أكثر مما ينبغى ..

وهذا يعنى أنه لو انطلق هذا الصاروخ نحوه ، فسيكون مصيره الموت حتمًا ..

لذا فقد أسرع يبدل ذبذبة الغلاف الكهرومغنطيسى المحيط به ، وأخذ جسده يتلاشى تدريجيًا ، وهو يعدو نحو رجال الشرطة ، مطلقًا صرخات غضب متصلة ، جعلتهم يتراجعون فى فزع ، وكبيرهم يصرخ :

ـ أطلقوا الصاروخ .. أطلقوا الصاروخ ..

وضغط حامل المدفع زر الإطلاق ..

وانطلق الصاروخ ..

ولكن النور كان قد اختفى تمامًا ..

ولم يعد هناك هدف يمكن التصويب عليه ..

ودوى الانفجار فى نهاية الممر ..

وأطاح بجدار حجرة عقاقير الطوارئ ..

نفس الحجرة التى تحتمى بها (سلوى) ، مع زوجها (نور) ..

ومع الانفجار ، انطلقت فى المكان كله ضحكات ساخرة عصبية ، راحت تبتعد ، وتبتعد ، حتى تلاشت بدورها ..

وساد المكان صمت رهيب ..

صمت يوحى بأنه ، وباستثناء رجال الشرطة ، الذين شملهم الرعب والذهول ، لم يكن هناك أثر لحياة أخرى فى ذلك الطابق ..

أدنى أثر ..

* * *

لم ينطق (طارق) بحرف واحد ، وهو ينطلق بالهليوكوبتر نحو المستشفى ..

وكذلك لم يفعل (أكرم) ..

كانت هناك مخاوف شتى ، تسيطر على كليهما ، حتى إن كلًا منهما اكتفى بالتفكير فيها ، ولم يجد بنفسه أدنى رغبة فى التحدث مع رفيقه ..

ثم قطع (طارق) ذلك الصمت ، وهو يشير بيده قائلًا :

- ها هو ذا المستشفى .

وهنا غمغم (أكرم) بصوت مبحوح :

- أتمنى أن نكون قد وصلنا فى الوقت المناسب .

التقى حاجبا (طارق) قليلاً ، وهو يقول :

- عجبًا ! رجال الشرطة يندفعون خارج المستشفى ، كما لو أنهم ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يفكّر فى عمق ، فسأله (أكرم) فى توتر ، وهو يستلّ مسدسه بحركة حادة :

- كما لو أنهم ماذا ؟!

أجابه (طارق) فى بطء :

- كما لو أنهم يطاردون شخصًا ما .

ثم انحرف فجأة بالهليوكوبتر ، مضيفًا فى حزم :

- شخص خفى .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة مستنكرة ، وهو يهتف :

- ماذا تفعل يا هذا ؟!

أجابه (طارق) فى اهتمام ، وهو يدفع إليه حقيبته :

- من الواضح أن ذلك النووى قد انتهى من مهمته ، وبدأ يفقد طاقته ، لذا فقد أحاط نفسه بغلاف الإخفاء ، وغادر المكان ، وهم يبحثون عنه الآن .

هتف (أكرم) فى غضب :

- عظيم .. دعنا نهبط عند المستشفى إذن ، لنطمئن على (نور) و (سلوى) .

أجابه (طارق) فى حزم شديد :

- ليس الآن .. افتح الجهاز ، وابحث عن برنامج باسم (النووى) ، ثم انتقل إلى البرنامج الفرعى (مسارات) ، وسيمكنك تحديد الاتجاه ، الذى ينبغى أن تتخذه ، لنتعقّب الشاب .

صاح (أكرم) :

- نتعقّب من ؟! المفترض أن تكون الأولوية لـ (نور) و (سلوى) .

قال (طارق) فى صرامة :

- كلا يا رجل .. إننا رجال مخابرات علمية ، والأولوية المطلقة لدينا للمهمة ، التى تم إسنادها إلينا ، ومهمتنا هى العثور على ذلك النووى ، وتدميره ، أو منعه من مواصلة حملته الثأرية الغامضة ..

صاح (أكرم) فى ثورة :

ـ وماذا عن (نور) و (سلوى) ؟!

أجابه (طارق) بنفس الصرامة :

ـ لقد انتهى النووى من مهمته بالمستشفى ، ولو أنه كان يهدف إلى (نور) و (سلوى) بالفعل ، فقد فعل ما فعله ، ولم يعد بوسعنا إعادة عقارب الساعة إلى الوراء .

رمقه (أكرم) بنظرة غاضبة ، وهو يقول :

ـ يا لرقة مشاعرك !

صمت (طارق) لحظة ، قبل أن يقول فى حزم بالغ :

ـ لن أضيع فرصة نادرة كهذه ، للظفر بخصم مثله ، لمجرّد أن مشاعرى المرهفة تصرّ على مخالفة المنطق والواقع ، والخضوع لنزوة عاطفية سخيفة .

ثم التفت إليه ، مستطردًا :

ـ هيّا يا رجل .. انفض عن نفسك كل تلك العواطف ، وابدأ فى تشغيل برنامج المسار .. هيّا .

صمت (أكرم) بضع لحظات ، ثم هزّ رأسه ، مغمغمًا فى حنق :

ـ اللعنة !

وأسرع يفتح الجهاز ، ويستدعى برنامج المسار ، الذى رسم أمامه خريطة لمدينة (القاهرة) الجديدة ، ثم ارتسمت فوقها ثلاثة خطوط حمراء ، و (طارق) يقول :

ـ هذه هى الاتجاهات ، التى اتخذها فى عملياته الثلاث السابقة ، بعد أن انتهى من مذبحته ، والمفترض أنها تشير إلى حيث يختفى أو يقيم .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ ولكنه يحيط نفسه بغلاف الإخفاء ، كما تقول .

أجابه (أكرم) ، وهو يدور بالهليوكوبتر فى سماء المدينة :

ـ دراساتى تقول : إنه لن يمكنه أن يفعل هذا طوال الوقت ؛ وإلا نفدت طاقته ، ونضبت تمامًا .. سيضطر حتمًا لرفع ذلك الغلاف ، عندما يتصوّر أنه صار بعيدًا عن مواطن الخطر ، وعندئذ سيلتقطه جهاز تحديد الطاقة ، وسيمكننا تتبعه إلى وكره .

سأله (أكرم) :

ـ ثم ؟!

صمت (طارق) لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ ثم سيكون علينا أن نترجّل .

التفت إليه (أكرم) بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ نترجّل ؟!

أجابه (طارق) فى حزم :

ـ نعم يا رجل .. نترجّل .. وعليك أن تؤهّل عقلك لفعل هذا ، أو ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق فجأة أزيز محدود ، من جهاز تحديد الطاقة ، وظهرت على شاشته بقعة حمراء متحرّكة ، فهتف (أكرم) ، وجسده كله ينتفض انفعالاً :

ـ ها هو ذا .. لقد أزال الغلاف .

التقى حاجبا (طارق) ، وهو يقول :

ـ عظيم ..

ثم ألقى نظرة سريعة على شاشة جهازه ، وهو يميل بالهليوكوبتر ، لينطلق نحو الهدف ..

الهدف الخارق ..

* * *

كان انفجار الصاروخ قويًا بالفعل ، حتى إنه أطاح بجزء من جدار الحجرة ، فاندفعت الأجزاء المحطمة نحو (سلوى) و (نور) فى عنف ..

ولكنها ارتطمت أولاً بالباب الخشبى السميك ، الذى احتمت به (سلوى) ، وأخفت خلفه فراش (نور) .

ومع دوى ارتطام الأحجار بالباب ، فقدت (سلوى) أعصابها ..

وراحت تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

والعجيب أن كل تلك الصرخات لم تتجاوز حلقها ..

لقد انطلقت كلها فى أعماقها ، وانحبست فى داخلها ، وجسدها يرتجف فى عنف شديد ..

فيما عدا الصرخة الأخيرة ..

وحدها نجحت فى تجاوز أسوار حلقها ، فانفجرت عالية مدوية ، فى المكان كله ..

وارتفعت عيون كل رجال الشرطة نحو مصدر الصرخة ..

وهتف كبيرهم ، وهو يعدو محاولاً البحث عن ذلك

الخصم ، الذى تلاشى أمام أعينهم ، كما لو أنه ذاب فى العدم :

ـ فليتحرَّ أحدكم ما يحدث هنا .

اندفع أحد الرجال نحو الحجرة ، وقفز فوق الحطام ، الذى يسدّ مدخلها ، وصوّب مسدسه الليزرى إلى الباب الخشبى ، هاتفًا :

ـ من هنا ؟!

جاوبه سعال عنيف ، قبل أن تهتف (سلوى) :

ـ النجدة .. أنا (سلوى) ، من المخابرات العلمية .. استدع فريق الطوارئ الطبى بالله عليك .. زوجى (نور) مصاب .. أسرع يا رجل .. أسرع .

هتف الشرطى :

ـ زوجك (نور) ؟! أتعنين المقدَّم (نور الدين) ، رجل المخابرات العلمية ، وبطل التحرير ؟!

أجابته باكية :

ـ إنه هو .. أسرع يا رجل ، قبل أن تضيف إلى تلك الألقاب كلمة (سابقًا) ..

لم يفهم الرجل ما تعنيه للوهلة الأولى ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن ينتزع جهاز اللاسلكى ، المعلق فى حزامه ، ويهتف عبره :

ـ حالة عاجلة ، فى الطابق الثانى ، تحتاج إلى إسعاف طبى على الفور .. أكرِّر .

تردَّد هتافه عبر كل مكبرات الصوت بالمستشفى ، وانتقل إلى كل رجل شرطة فى المنطقة كلها ..

ولكن كانت هناك مشكلة ..

لقد حطَّم ذلك النووى فى هجومه ، كل شىء تقريبًا ..

قسم الطوارئ ..

حجرات العمليات الجراحية ..

مستودع العقاقير الطبية ..

وحتى قسم رعاية الحالات الحرجة ..

كل شىء ..

وتقريبًا ، لم يكن هناك مكان يمكن فيه علاج (نور) ، أو مواصلة رعايته ..

وفى ارتياع ، هتفت (سلوى) :

ـ أين الجميع ؟! أين الأطباء ، والممرضات ؟! أين كل شخص هنا ؟! لا بد من إسعاف (نور) بأقصى سرعة .. لقد انتزعت كل الأسلاك والأنابيب الدقيقة

عن جسده عنوة ، ولست أدرى ما يمكن أن يفعله بـه هذا ، ولا ما الذى ..

سعل (نور) بغتة ، ليبتر عبارتها ، فالتفتت إليه فى سرعة ، هاتفة :

ـ ربّاه ! (نور) !

سعل مرة أخرى فى قوة ، ثم امتقع وجهه فى شدة ، وبدا وكأن صدره لم يعد قادرًا على ترديد أنفاسه ، فصاحت :

ـ (نور) .. ماذا أصابك ؟! ماذا بك ؟!

شهق (نور) فى قوة ، ثم تهالك جسده دفعة واحدة ، فصرخت :

ـ لا .. لا يا (نور) .. لا .

وبكل ما يحتشد به صدرها ، ويموج به كيانها ، صرخت :

ـ (نور) .. (نووووور) ..

وترددت صرختها فى المستشفى كله قوية مجلجلة ، و ...

وما من مجيب ..

* * *

« إننا نقترب منه بالتأكيد .. »

نطق (أكرم) العبارة فى انفعال شديد ، وهو يشير إلى البقعة الحمراء ، التى ازدادت تألقًا ، على شاشة الجهاز ، و (طارق) يواصل التحليق بالهليوكوبتر ، فى سماء (القاهرة) الجديدة ، فغمغم هذا الأخير ، فى اهتمام ملحوظ :

ـ هذا صحيح .. إنه هنا فى مكان ما .. وسط المارة والسيارات ، التى تكتظ بها الطرقات ، فى هذه الساعة .. أتعشم أن نتعرّف سيارته .

قال (أكرم) فى دهشة :

ـ سيارته ؟! أيقود مثله سيارة عادية ؟!

أجابه (طارق) بدهشة مماثلة :

ـ ولِمَ لا ؟! أتعتقد أن كونه نوويًا ، يجعله قادرًا على قطع تلك المسافات الطويلة ، سيرًا على الأقدام ؟!

مطّ (أكرم) شفتيه فى شىء من الحيرة ، قبل أن يهزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ كنت أتصوّر أنه سيطير مثلاً .

ارتفع حاجبا (طارق) فى دهشة أكثر ، ثم ابتسم فى شىء من السخرية ، قائلاً :

ـ آه .. من الواضح أنك كنت تكثر من قراءة الروايات المصوَّرة فى صباك ، وعلى الأخص روايات (سوبرمان)(*)

انعقد حاجبا (أكرم) فى حنق ، وهو يقول فى عصبية :

ـ كانت مجرَّد ملاحظة .

أومأ (طارق) برأسه ، مغمغمًا :

ـ يمكننى فهم هذا .

ثم أشار إلى شاشة جهازه ، متابعًا فى انفعال :

ـ أعتقد أنه تحتنا مباشرة الآن .

(*) سوبرمان : شخصية خيالية ، ابتكرها (جوشاستر) و(جيرى سيجال) ، إبان الأزمة الاقتصادية الأمريكية فى الثلاثينات ، وهى لبطل جاء من كوكب آخر ، واكتسب قوى خارقة على كوكب الأرض ، جعلته قادرًا على الطيران ، ورؤية الأشياء البعيدة والمحجوبة ، كما امتلك مناعة ضد كل أنواع الأسلحة المعروفة ، ولقد استخدم قوته هذه لعمل الخير وتحقيق العدالة .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، ومال برأسه متطلعًا إلى عشرات السيارات ، التى تشقّ طريقها تحته ، وغمغم متوترًا :

ـ هل يمكنك تحديد موقعه بالضبط ؟!

أجابه (طارق) ، وهو يبطئ من سرعة الهليوكوبتر :

ـ لا تتعجلْ الأمور .. إننا نقترب من مفترق طرق ، وذلك الفيض من السيارات لن يلبث أن ينقسم إلى عدة مجموعات صغيرة ، كلٌ فى اتجاه ما ، وعندئذ سيمكننا تحديد الأمر أكثر .

بدا الضيق على وجه (أكرم) ، واعتدل فى مقعده ، مغمغمًا :

ـ أتعشَّم هذا .

كان يشعر بتوتر هائل ، يطغى على مشاعره كلها ؛ لأنه يقترب من خصمه النووى ..

ولأنه ما زال يجهل مصير (نور) و (سلوى) ..

ومن أعمق أعماقه ، تصاعدت رغبة ملحة فى الاتصال بالمستشفى ، والسؤال عنهما ..

ولكنه ، ولسبب ما ، كان يخشى أن يفعل ..

ربما لأن الشعور بالذنب وتأنيب الضمير ، لم يفارقه بعد ..

أو لأنه يخشى أن يجد ما يضطره إلى إيقاف المطاردة ، والعودة إليهما !!

إنه ، تمامًا مثل (طارق) ، يجد أنها فرصة مثالية ؛ لتحديد موقع ذلك النووى ، وبلوغ وكره الخفى ..

ولكنه يرفض الاعتراف بهذا ..

أو يخشاه ..

وبشدة ..

وكمحاولة لإبعاد الأمر عن ذهنه ، راح يشغل عقله بمراقبة السيارات ، التى اقتربت من المفترق ، ثم راحت تنقسم إلى مجموعات صغيرة بالفعل ، وعندئذ قال (طارق) فى حماس :

ـ ها هو ذا .. لقد اتخذ الطريق ، الذى يمرّ بمحاذاة أطلال (القاهرة) القديمة .

هتف (أكرم) :

ـ حقًا ؟!

كانت السيارات ، التى اتخذت هذا الطريق محدودة للغاية ؛ لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ، لذا فقد حلّق

(طارق) فوقها ، والانفعال يغمره مع (أكرم) ، الذى أمسك مسدسه بحركة غريزية ، وأحاط مقبضه بأصابعه فى قوة ، وعيناه تفحصان ذلك العدد المحدود من السيارات ، وهو يتمنى أن يمتلك تلك القدرة الخرافية ، على النفاذ ببصره عبر الحدود ؛ لرؤية خصمه ، وتحديد موقعه وهويته ، و ...

وفجأة ، انحرفت إحدى السيارات ، وتوقّفت أمام متجر كبير ..

ومَع توقّفها ، توقّفت تلك البقعة الحمراء على الشاشة ..

وبكل حماسه ، هتف (طارق) :

ـ ها هو ذا .

سأله (أكرم) فى انفعال :

ـ أأنت واثق ؟!

تعلّقت عيونهما بالشاب ، وهو يغادر السيارة ، ويتجه فى هدوء نحو المتجر ، وقال (طارق) :

ـ بلا أدنى شك .. إنه يسعى لشراء غذائه .. جسمه يحتاج الآن إلى الكثير من الطعام ، قبل أن يغرق فى سبات عميق محدود .. لقد توقّف لشراء طعامه .



لقد انهالت عليه عشرات الرصاصات ، عند باب المتجر ، وفوجىء بإحداها تخترق كتفه ..

ازداد انعقاد حاجبى (أكرم) فى شدة ، وهو يقول :

ـ إذن فهذا هو .. هذا هو .

ثم سأل فى لهفة :

ـ أأنت واثق من أنه لا يستخدم تلك الأغلفة الواقية الآن ؟!

أجابه (طارق) ، وهو ينخفض بالهليوكوبتر :

ـ بالطبع .. إنه ..

قبل أن يتمّ عبارته ، فوجئ بـ (أكرم) يصوِّب مسدسه إلى الشاب ، هاتفًا :

ـ فيم انتظارنا إذن ؟!

هتف به (طارق) :

ـ لا .. لا تفعل ..

ولكن هتافه ضاع مع دوى الرصاصات ، التى أطلقها (أكرم) فى حزم وسخاء ، نحو ذلك الشاب النووى ..

وكانت مفاجأة حقيقية للشاب ..

لقد انهالت عليه عشرات الرصاصات ، عند باب المتجر ، وفوجئ بإحداها تخترق كتفه ، وبثانية تغوص فى جدار بطنه ، فوثب داخل المتجر ، مطلقًا

صرخة غضب هادرة ، فى نفس الوقت الذى هتف فيه (طارق) ، داخل الهليوكوبتر :

ـ ماذا فعلت أيها التعس ؟! لقد أثرت جنونه .

أجابه (أكرم) فى عصبية :

ـ لم يكن من الممكن أن أضيع فرصة كهذه .

دار (طارق) بالهليوكوبتر ، وهو يقول :

ـ فلندع الله أن نتمكن من الفرار ، قبل أن ...

لم يكن قد أتمّ عبارته بعد ، عندما برز النووى من المتجر ، وجسده يضىء بضوء باهت ، وأطلق صرخة غاضبة قوية ، وقبضته ترتفع نحو الهليوكوبتر ..

وبلا تردُّد ، أطلق (أكرم) رصاصاته مرة أخرى .

ورأى تلك الكرة من النيران ، التى انطلقت من قبضة النووى ..

وصرخ (أكرم) :

ـ احترس يا (طارق) .

وجذب (طارق) ذراع الهليوكوبتر فى قوة ، ولكن الكرة النارية كانت تنطلق بسرعة خرافية ، جعلتها تبلغ الهليوكوبتر فى لحظة واحدة ، و ...

ودوى انفجار محدود ..

انفجار أطاح بطرف ذيل الهليوكوبتر ، مع مروحتها الخلفية ..

واشتعلت النيران فى باقى الذيل ..

وفقدت الهليوكوبتر توازنها ..

وهوت ..

وبمنتهى العنف .

* * *



٣ - أربع ساعات ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. الخامسة عصرًا .

كل شىء كانت تسوده الفوضى والاضطراب فى المستشفى ..

حالة الذعر الهائل ، التى سيطرت على الجميع ، مع الهجوم العنيف ، جعلتهم يفرون خائفين هلعين ، تاركين المكان كله خلفهم ..

وكادت (سلوى) تنهار ، وزوجها يلفظ أنفاسه الأخيرة بين يديها ، والشرطى يطلق النداء تلو الآخر، فى محاولة لاستدعاء من ينقذ حياته ..

وبكل مرارة الدنيا ، هتفت (سلوى) :

- لا .. لا يمكن أن يفعلوا بنا هذا .. لا يمكن أن يتركنا الجميع هكذا .

« هذا صحيح يا سيِّدتى .. »

ارتجف جسدها كله مع العبارة ، واستدارت إلى مصدرها فى لهفة ، وكاد قلبها يثب من بين ضلوعها ، عندما وقع بصرها على أحد أطباء المستشفى ، فى

معطفه الأبيض ، وهو يشق طريقه إليها ، مستطردًا :

- لا يمكن أن نتخلَّى عمن يحتاج إلينا .. إنها رسالتنا .

تنهَّد الشرطى فى ارتياح ، مغمغمًا :

- حمدًا لله .

أما (سلوى) ، فقد تعلَّقت بالطبيب ، هاتفة :

- انقذ حياته يا سيِّدى .. أرجوك .

ربَّت الطبيب على يدها ، قائلاً :

- سأبذل قصارى جهدى يا سيِّدتى .

وبسرعة ، راح يفحص (نور) ، الذى بدا شاحبًا كالموتى ، وغمغم :

- آه .. إنها صدمة ارتدادية .. لقد توقَّفت منشطات القلب ، دون سابق إنذار .. إنه يحتاج إلى إسعاف عاجل بالفعل .

هتفت يائسة :

- ولكن كيف ؟! لقد تحطَّم كل شىء .. كل شىء ..

أجابها فى حزم :

- حتى هذا الطابق مخرب يا سيِّدتى .

ثم التفت إلى الشرطى ، مستطردًا :

ـ هيا يا رجل .. تعاون معى ؛ لننقل المقدّم (نور) إلى الطابق الثالث ، حيث حجرة العمليات الجراحية الرئيسية .. أسرع .

سألته (سلوى) فى ذعر :

ـ هل .. هل يحتاج إلى عملية جراحية عاجلة ؟!

أجابها الطبيب ، وهو يتعاون مع الشرطى لحمل فراش (نور) خارج الحجرة المحطّمة :

ـ كلا يا سيدتى ، ولكن هناك وحدة عناية مركزة ، ملحقة بحجرة العمليات الرئيسية ، تحسبًا لأية طوارئ مفاجئة ، فى أثناء إجراء أية جراحة كبرى ، وتلك الوحدة مجهزة بكل ما نحتاج إليه .

ثم عاد يهتف بالشرطى :

ـ أسرع يا رجل بالله عليك .

كانت المصاعد كلها معطلة ، كإجراء وقائى ، بعد انطلاق إنذار الحريق(*) ، ولكن الطبيب والشرطى جاهدا لحمل الفراش ، عبر درجات السلم ، وانضمّ إليهما بعض الممرضين والعاملين بالمستشفى ، الذين عادوا إليها ، بعد انتهاء الموقف ..

(*) فى حالات الحريق أو الزلازل ، من الخطر استخدام المصاعد ، خشية انقطاع حبالها ، وسقوطها العنيف من ارتفاعات كبيرة ، أو انقطاع التيار ، وتوقفها غير المتوقع بين الطوابق ، واحتجاز ركابها داخلها.

وفى عنف ، راح قلب (سلوى) يدقّ ..

ويدقّ ..

ويدقّ ..

حتى بلغ الرجال وحدة العناية المركزة ، الملحقة بحجرة العمليات الرئيسية ..

وما إن تم وضع فراش (نور) داخلها ، حتى بدأ الطبيب عمله على الفور ، وهو يلقى أوامره وتعليماته إلى الممرضين والممرضات فى سرعة ودقة ..

وتحرك فريق العمل كخلية نحل ، مفعمة بالنشاط والحيوية ..

بعضهم راح يوصل جسد (نور) بمجموعة جديدة من الأسلاك والأنابيب الدقيقة ، التى تتصل بأجهزة طبية خاصة ، تعمل على قياس نبضه ، وضغط الدم فى عروقه ، وضربات قلبه ، وإشاراته الكهربية ، وذبذبات مخه ، وتنقل إليه عددًا من السوائل والأغذية ، التى تحافظ على حيوية خلاياه ونشاطها ..

والبعض الآخر راح يدلك صدره ، ويحقنه بالأدوية والعقاقير اللازمة ..

وانهمرت دموع (سلوى) فى غزارة ..

وخفق قلبها فى عنف ..

ولأكثر من اثنتى عشـرة دقيقـة ، وقفـت تراقـب ما يفعله الرجال فى صمت ، ورأت العرق يتصبَّب على وجوههم فى غزارة ، دون أن يتوقَّفوا لحظة واحدة ..

ورأت الطبيب يتابع شاشات الأجهزة الطبية طوال الوقت ..

وأدركت أن زوجها يمرّ بموقف دقيق ..

وعصيب ..

للغاية ..

ومن أعمق أعماق قلبها ، ودون أن يصدر عنها أدنى صوت ، هتفت :

ـ أنقذه يا إلهى ! أنقذه من أجلى .. من أجلنا جميعًا .

لم يكد الهتاف يتردَّد فى أعماقها ، حتى رفع الطبيب عينيه إليها ، والعرق يغمر وجهه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

ـ أعتقد أنه سينجو يا سيِّدتى .

خفق قلبها فى عنف ، وتفجَّر من عينيها نبع من الدموع ، وهى تهتف :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

ومع الدموع المنهمرة من عينيها ، وعلى الرغم من نجاة (نور) هذه المرة ، قفز إلى ذهنها سؤال مخيف ..

ماذا لو لم تكن هذه هى المحاولة الأخيرة للنووى ، للقضاء على (نور) ؟!

وماذا لو أنه هاجم مرة أخرى ؟!

ونجح !!

ومع هذا السؤال ، ارتجف قلبها مرة أخرى فى عنف ..

وفى ارتياع ..

* * *

لم تكن الكرة النارية ، التى أطلقها النووى ، بنفس قوة كراته السابقة ، التى استخدمها فى هجومه على المستشفى ..

وهذا لحسن حظ (طارق) و (أكرم) ..

فلو أنه أطلق نحوهما كرة نارية كاملة القوة ، لنسفت الهليوكوبتر كلها بضربة واحدة ، وأحالتها إلى كومة من الفتات والشظايا المتناثرة ..

ولكن كرته هذه نسفت الذيل فحسب ..

وفقدت الهليوكوبتر توازنها بالطبع ..

وراحت تدور حول نفسها ، وهى تهوى ..

وتهوى ..

وتهوى ..

نحو الأطلال القديمة ..

وفى غضب ، هتف (أكرم) :

ـ لقد ظفر بنا الوغد .

أجابه (طارق) فى حزم صارم :

ـ ليس بعد .

التفت إليه (أكرم) فى دهشة ، فتابع ، وهو يحلّ حزام مقعده :

ـ استعد يا رجل .. سنقفز من الهليوكوبتر ، فور اقترابها من الأرض .

اتسعت عينا (أكرم) ، وهتف :

ـ هل جننت ؟!

تخلى (طارق) عن عصا القيادة ، قائلاً :

ـ وما الذى يمكن أن نخسره ؟!

تفجّر القول فى رأس (أكرم) ، وجعله يعيد مسدسه إلى حزامه ، ويحلّ رباط مقعده ، قائلاً فى حزم :

ـ صدقت .

كانت الهليوكوبتر تقترب من الأطلال بسرعة مخيفة ، وتدور حول نفسها فى عنف ، فتعلّق بصرهما بالأرض ، وهى تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

ثم هتف (طارق) :

ـ الآن .

ومع هتافه ، وثب الاثنان ..

وشعر (أكرم) وكأنه يلقى بنفسه من الطابق الخمسين ، على الرغم من أن الهليوكوبتر لم تكن تبعد عن الأرض بأكثر من عشرة أمتار ..

ورأى جزءاً من الأطلال يقترب منه فى سرعة ، فثنى ركبتيه إلى صدره ، وحمى وجهه بذراعيه ، وشعر بجسده يرتطم ببقايا جدار فى عنف ، ثم يسقط فوق كومة من الصخور الصغيرة ، ويتدحرج عليها فى قوة ، وسط عاصفة من الغبار ، قبل أن يتوقف ، وينهال عليه الغبار فى كثافة ..

وفى نفس اللحظة ، سمع دوى انفجار الهليوكوبتر ، على مسافة عشرين مترًا منه تقريبًا ..

ورأى لسانًا من اللهب ، يرتفع إلى عنان السماء .

ثم هدأ كل شىء ..

ولثوان ، نهض (أكرم) صامتًا ، يحدّق فيما حوله فى ذهول ، وكأنه لا يصدّق أنه نجا ..

ثم فجأة ، انتابته فرحة غامرة ، جعلته يهتف :

- يا إلهى ! لقد نجونا .. فعلناها ونجونا .

وأطلق ضحكة عالية ، تموج بالانفعال ، قبل أن يعدو وسط الأطلال ، رافعًا ذراعيه إلى السماء ، وهاتفًا :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .. أشكرك يا إله العالمين .. لك الحمد والشكر .

ثم توقّف فجأة ، وتلفت حوله ، صائحًا :

- (طارق) .. أين أنت ؟!

أتاه صوته واهنًا ضعيفًا ، يجيب :

- أنا هنا .

انطلق يعدو إلى مصدر الصوت ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يهتف :

- ربّاه !.. (طارق) .

كان (طارق) ملقى بين بعض الأحجار الكبيرة ، وقد انهار جزء من جدار قديم على ساقه اليسرى ، وبدا الألم واضحًا على ملامحه ، فأسرع (أكرم) يرفع أجزاء الجدار ، وهو يسأله فى توتر :

- كيف حدث هذا ؟!

أجابه (طارق) فى ألم :

- انفجار الهليوكوبتر أسقط الجدار .

ردّد (أكرم) :

- يا إلهى ! يا إلهى !

ابتسم (طارق) فى صعوبة ، وهو يقول :

- هذا أفضل ما يمكن حدوثه يا رجل .. كان يمكن أن نلقى مصرعنا معًا .

ثم عضّ شفتيه فى ألم ، قبل أن يضيف :

- أكثر ما يؤلمنى هو أننى فقدت جهازى .

قال (أكرم) ، وهو يرفع الأنقاض عن ساقه :

- كل شىء يمكن تعويضه يا (طارق) .. كل شىء .

انتهى (أكرم) من رفع الأحجار وبقايا الجدار ، ثم

انحنى يفحص ساق (طارق) فى اهتمام ، قبل أن يقول :

ـ أعتقد أنها لم تتعرض للكسر .. صحيح أننى لست طبيبًا ، ولكن الحياة القاسية ، التى عشتها فى صباى ، منحتنى القدرة على معرفة هذه الأشياء .

ثم اعتدل جالسًا ، إلى جوار (طارق) ، وهو يستطرد :

ـ تماسك يا صديقى ، وستصل النجدة بعد قليل ..

قالها ، وهو يضغط زر الاستغاثة ، فى جانب ساعته ، وعقله يحمل عشرات التوترات والتساؤلات .

وكلها تدور حول ذلك العدو ..

العدو الرهيب ..

الخارق ..

* * *

تنهّد الدكتور (حجازى) فى عمق ، وأدار بصره بين أفراد الفريق ، قبل أن يقول :

ـ أعتقد أننى لن أكون مبالغًا ، لو قلت إنكم نجوتم بمعجزة .

أومأ (أكرم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح يا دكتور (حجازى) .. (نور) و(سلوى) نجوا بمعجزة من هجوم النووى على المستشفى ، وأنا و (طارق) كان من السهل أن نلقى مصرعنا ، عند الأطلال القديمة ، ولكن كل هذا انتهى بكومة من السحجات والكدمات ، مع تمزّق أربطة كاحل (طارق) .

قالت (نشوى) فى توتّر :

ـ ولكن لماذا سعى النووى للقضاء على أبى ؟!

هذا لا يتفق قط مع كل عملياته السابقة ! من المستحيل أن يكون هناك ما يربط بين أبى وثلاثة من كبار المسئولين ، مقامًا وعمرًا !

أشار (رمزى) بيده ، قائلاً :

ـ أعتقد أن الهجوم على (نور) لم يكن جزءًا من حملة الثأر هذه ، وإنما هو نتيجة مباشرة لمحاولتنا استفزازه .

التقى حاجبا (طارق) فى شدة ، فى حين بدا الانزعاج على وجه (نشوى) ، وهتف (أكرم) مستنكرًا :

- أتعنى أن (نور) و (سلوى) قد واجها كل ذلك الخطر ؛ بسبب الحديث ، الذى أدلى به (طارق) ، على شاشات الهولوفيزيون ؟!

قال (طارق) مستعيدًا هدوءه المستفز ، مع لمسة صارمة :

- لم أكن أتوقع هذا قط .

أسرع (رمزى) يقول :

- ولا أنا .. وهذا يعنى أن ذلك الشاب لا ينتهج أى مسار نفسى معروف ، حتى بالنسبة للمرضى ، وأن عقله مضطرب للغاية .

قال (أكرم) فى حدة :

- إذن فخطة (طارق) فاشلة .

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وقال :

- على العكس .. إنها سليمة تمامًا ، فعلى الرغم من النتائج السلبية لها ، إلا أنها أثبتت أمرًا بالغ الأهمية ، وهو أن خصمنا يمكن استفزازه ، ودفعه إلى مسار فرعى بالفعل ، فقد توقف عن تنفيذ خطته الانتقامية ، ليوجّه ضربة إلى (نور) .

قالت (نشوى) فى عصبية :

- سنمضى فى خطتنا إذن .

أجابها (رمزى) فى حزم :

- بالتأكيد .

ثم نهض من مقعده ، وراح يتحرك فى المكان ، متابعًا فى اهتمام بالغ :

- كلنا نعلم أن (نور) قد تم نقله إلى وحدة عناية خاصة ، فى مبنى الأبحاث العلمية ، تحت إشراف الدكتور (ناظم) ، ونخبة من أفضل الأطباء ، وأكثرهم خبرة وبراعة ، ولكن أحدًا سوانا لا يعلم هذا ، لذا فسنعمل على تعديل خطة (طارق) ، ونقوم بتسريب معلومة خاطئة إلى (مشيرة) ، حول انتقال (نور) للعلاج هنا ، فى مقرّنا الصحراوى ، ثم نعاود استفزاز خصمنا بشدة ، بحيث ندفعه دفعًا للسعى خلفنا ، ومهاجمتنا بمنتهى العنف ، وعندئذ نبدأ فى تنفيذ الشق الأساسى من خطة (طارق) .

عدّل (طارق) وضع قدمه المحاطة بجبيرة هوائية أمامه(*) ، وهو يقول :

(*) أحدث الوسائل الطبية ، لجبر العظام المكسورة ، هو استخدام جبائر من المطاط الرقيق ، يتمّ نفخها بالهواء ، بحيث تقوم بعمل جبائر الأسمنت القديمة ، المعروفة والمستخدمة حاليًا .

- معذرة يا دكتور (رمزى) .. أدرك جيدًا أنك قائد الفريق ، والخبير النفسى الوحيد به ، ولكننى لا أعتقد أن هذا التعديل يكفى ، لدفع خصمنا إلى التخلى مرة أخرى عن حملته الثأرية ، ومهاجمتنا هنا .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

- ماذا تقترح إذن ؟!

أجابه فى حماس عجيب :

- نفس ما اقترحته من قبل .. أن نستخدم نفس الوسائل التقليدية القديمة .. إننا نعلم الآن أى اتجاه يتخذه ، للعودة إلى وكره ، ونعلم أيضًا أنه مضطر لتناول وجبة دسمة ضخمة ، بعد كل هجوم ، وهذا ما دفعه لمهاجمة المتجر ، بعد قتاله معنا ، وبعد أن يتناول وجبته تلك ، سيخلد إلى نوم عميق للغاية ، يستمر ما بين ثلاث أو أربع ساعات ، قبل أن يستعيد طاقته وقوته ، ويستعدّ لشنّ هجوم جديد .. وأعتقد أن أفضل ما نفعله ، هو أن نتحرّك بأقصى سرعة ، خلال هذه الساعات الأربع .. سندفع زوجة (أكرم) إلى إعلان أمر المقرّ الصحراوى ، مع القصة الملفقة لعلاج (نور) هنا ، وفى الوقت نفسه سنعلن صورة

خصمنا فى كل مكان ، ونرسل قوة ضخمة لتمشيط المناطق ، التى يُحتمل وجوده فيها .. باختصار ، سنحاصره ، ونقلقه ، ونحوّله من صيّاد إلى فريسة ، يسعى إليها الجميع ، وسنعلن فى كل مكان أننا وراء ما يحدث ، بحيث لا يعود أمامه سوى أن يهاجمنا ، دفاعًا عن كيانه ، وعن استمرار حملته الثأرية .

أومأت (نشوى) برأسها ، مغمغمة :

- فكرة رائعة .

أما (أكرم) ، فابتسم ، قائلاً :

- ألا يفوتك شىء قط ؟!

هزّ (طارق) كتفيه ، مغمغمًا فى خفوت :

- إننى أحاول بذل قصارى جهدى .

قال الدكتور (حجازى) فى سرعة :

- وكلنا نشهد لك بالبراعة ، فى هذا المضمار يا رجل .

غمغم فى شىء من الخجل :

- أشكرك .

ران على المكان صمت قصير ، قطعته (نشوى) ، وهى تسأل (طارق) :

- عندما أطلقت أمى إشارة الاستغاثة ، كنت تتحدث

عن فكرة جديدة ، لكشف هوية النووى .. أليس كذلك ؟!

أجابها (طارق) :

ـ هذا صحيح .. أعيدى عرض ذلك الفيلم ، الذى صورته آلات المراقبة ، فى منزل مدير المخابرات العامة الراحل ، وسأشرح لك فكرتى .

نهض (أكرم) يعيد عرض الفيلم ، وتابعه الجميع فى مرارة ، حتى وصلوا إلى تلك اللحظة ، التى أخرج فيها النووى مدير المخابرات من السيارة المقلوبة ، وراح يتحدث إليه ، فهتف (طارق) :

ـ ها هو ذا المشهد الذى أريده .

أوقف (أكرم) عرض الفيلم ، وثبت الصورة على الشاشة ، وهو يقول :

ـ وما الذى يمكن أن يفيدنا به هذا المشهد ؟!

أجابه (طارق) ، مشيرًا إلى الشاشة :

ـ من الواضح أن النووى يتحدث مع المدير ، قبل أن يفتك به ، ومما لا ريب فيه أنه يروى له سبب انتقامه منه ، أى أنه يتحدث عن القضية ، التى نبحث عنها .

قالت (نشوى) فى اهتمام :

ـ هذا صحيح ، ولكننا لا نرى سوى جانب وجهه ، ولا يمكننا تمييز ما يقوله ، أو حتى رؤية حركة شفتيه فى وضوح .

قال (طارق) :

ـ بالضبط .. إننا نعجز عن قراءة شفتيه ، من هذه الزاوية ، ولهذا سألتك عن برامج التماثل ثلاثية الأبعاد .

تألقت عيناها ، وهى تهتف فى حماس :

ـ آه .. فهمت .. يا لها من فكرة !

التقى حاجبا الدكتور (حجازى) فى تساؤل ، فى حين قال (أكرم) فى عصبية :

ـ هل يمكننى أن أفهم أيضًا ؟!

التفتت إليه (نشوى) ، قائلة فى حماس :

ـ سأشرح لك ما يريده (طارق) .. إنه يريد منى أن أستخدم برنامج التماثل ثلاثى الأبعاد ، لتحريك جسد النووى ، إلى زاوية لم تلتقطها آلات المراقبة ، بحيث يمكننا قراءة حركة شفتيه ، ومعرفة ما قاله لمدير المخابرات العامة ، قبل أن يقتله .

سألها (أكرم) فى دهشة :

- أهذا ممكن ؟!

أجابته بسرعة :

- بالتأكيد .. البرنامج سيقوم بتحديد ومسح جسم النووى ، ثم يعمل على تكوين تماثل مجسَّم له ، وعندئذ يمكننا إمالة هذا التماثل ، والحصول على أية زاوية نرغب فى رؤيتها له(*) .

سألها (أكرم) فى انبهار :

- وكم من الوقت يستغرق هذا ؟

هزَّت كتفيها ، مجيبة :

- ثلاث أو أربع ساعات على الأكثر .

انعقد حاجباه ، وهو يقول فى حزم :

- ينبغى إذن أن تبدئى عملك على الفور ، دون إضاعة لحظة واحدة .

والتقط سترته ، متابعًا :

- وسأقوم أنا أيضًا بعملى .

(*) بعض برامج الكمبيوتر المتقدمة ، للرسم بالأبعاد الثلاثية ، يمكنها عمل هذا فى الوقت الحاضر .

سأله (طارق) فى قلق :

- ما الذى ستفعله بالضبط ؟!

أجابه ، وهو يرتدى سترته ، ويندفع نحو الباب :

- سأقود عملية البحث عن ذلك الوغد .

والتفت إليهم بابتسامة جذلة ، مضيفًا :

- إننى أتوق لمواجهته مرة أخرى .

قالها ، وغادر المكان ، وأغلق الباب خلفه فى حزم .

ولكنه ، وهو يقفز داخل سيارة الفريق ، وينطلق بها نحو المدينة ، لم يكن يدرك أن تلك المواجهة القادمة ستكون عنيفة بحق ..

عنيفة إلى أقصى حد ..

* * *

تراجعت (مشيرة) فى مقعدها فى بطء ، وانزوى ما بين حاجبيها فى تفكير عميق ، وهى تطالع التقرير الأخير ، الذى يحوى كل ما توصَّل إليه المحررون من معلومات ، من مصادرهم المختلفة ، ولاذت بالصمت بضع لحظات ، قبل أن تغمغم :

- عجبًا !

ثم اعتدلت تضغط زر الاتصال الداخلى ، قائلة :

ـ (حازم) .. أريدك فى مكتبى على الفور .

لم تمض لحظات ، حتى دلف المحررُ الشاب إلى مكتبها ، فسألته فى اهتمام :

ـ قل لى يا (حازم) : من أين أتيت بتلك المعلومات ، الخاصة بالمقدّم (نور) ، والمقرّ الصحراوى الجديد للفريق ؟!

ارتسمت ابتسامة مزهوة على شفتى الشاب ، وهو يجيب :

ـ لدى مصادرى .

سألته فى صرامة :

ـ وما هذه المصادر بالضبط ؟!

أجابها فى حزم :

ـ القانون يمنحنى حق الاحتفاظ بسرية مصادرى ، و ...

قاطعته فى صرامة محتدّة :

ـ ما تلك المصادر يا (حازم) ؟!

احتقن وجه الشاب ، وهو يقول :

ـ سيّدتى .. ليس من حقك أن ...

قاطعته مرة أخرى ، وهى تومئ بسبّابتها فى وجهه :

ـ اسمع أيها الشاب .. من الواضح أنك أخطأت تمامًا فهم ذلك القانون ، الذى يمنحك حق الحفاظ على سرية مصادر معلوماتك .. فالقانون ، أيها العبقرى ، يحميك من أية محاولة ، من الشرطة ، أو المنافسين ، لكشف المصدر ، الذى حصلت منه على معلوماتك ، أما بالنسبة لرئيس تحريرك ، فمن المحتم أن تطلعه على مصدر المعلومات ، حتى يتأكّد من صحتها ، ومن صلاحيتها للنشر والإعلان .. هل تفهم ؟!

بدا عليه التوتّر الشديد ، وهو يجيب :

ـ نعم يا سيّدتى .. أفهم .

تألّقت عيناها فى ظفر ، وتراجعت فى مقعدها ، قائلة :

ـ عظيم .. والآن .. من أين أتيت بتلك المعلومات ؟!

ازدرد لعابه فى توتر بالغ ، قبل أن يجيب :

ـ عمى يعمل فى المخابرات العلمية .

بدت عليها الدهشة ، وهى تسأله :

ـ أهو أحد ضباط الجهاز ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ بل هو المسئول عن الاتصالات هناك ، وهذا ما جعله على علم بكل ما يحدث .

قالت فى دهشة :

- ولكن كيف أبلغك بهذه الأمور ؟! هذا مخالف لقانون السرية .

ازدرد لعابه ، قبل أن يغمغم :

- سيقتلنى ، عندما يعلم أننى أبلغت الجريدة بما لدى .

صمتت (مشيرة) تمامًا ، وعادت تتراجع فى مقعدها ، وهى تتطلع إلى الشاب ، الذى بدا عليه الكثير من الاضطراب ، ثم لم تلبث أن قالت :

- فليكن .. عد إلى مكتبك .

غادر الحجرة فى اضطراب أكثر ، وهو يغمغم :

- أشكرك يا سيدتى .. أشكرك .

ولكنه لم يكد يغادر المكتب ، حتى زايله اضطرابه هذا ، وحلت محله ابتسامة ظافرة ، وهو يلتقط سماعة الهاتف ، ويطلب رقمًا خاصًا ، ثم يقول فى خفوت :

- كل شىء على ما يرام يا سيدى .. لقد ابتلعت الطعم .

قالها ، وأنهى المحادثة على الفور ، دون أن يدرى أن (مشيرة) قد استمعت ، عن طريق جهاز يتصل بهاتفها الخاص ، إلى العبارة التى قالها ، وأن هذا قد جعلها تعقد حاجبيها فى توتر شديد ، وتعاود التطلع إلى التقارير ، وهى تحك ذقنها بسبابتها فى عصبية ، متمتمة :

- إذن فالمخابرات العلمية تدس هذه المعلومات عمدًا ، على جريدة (أنباء الفيديو) .. والسؤال الآن هو لماذا ؟! لماذا تسعى المخابرات العلمية إلى إبلاغنا بمعلومات بالغة الخطورة كهذه ؟! لماذا ؟!

راحت تدير الأمر فى رأسها مرات ومرات ..

ولكن كل ما وضعته من تفسيرات ، لم ينجح فى إقناعها .

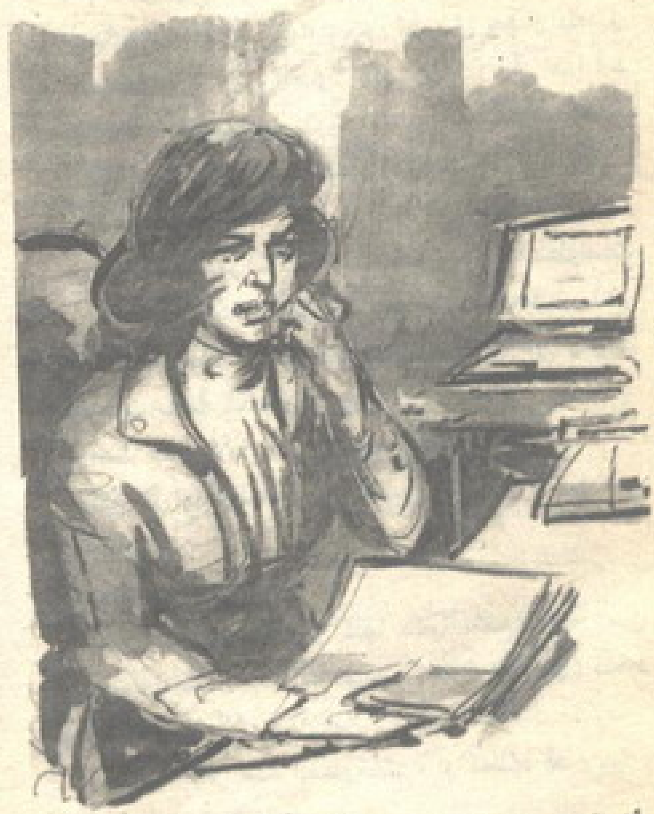
لم ينجح فى هذا أبدًا ..

لذا ، فقد ألقت التقارير كلها جانبًا ، مع موجة من الغضب والعناد ، شملت كيانها كله ، وجعلتها تتخذ قرارًا صارمًا ، لا رجعة فيه ..

إنها لن تنشر هذه المعلومات ، أو تعلنها قط ..

ومهما كانت النتائج ..

* * *



وأن هذا قد جعلها تعقد حاجبيها فى توتُّر شديد ، وتعاود التطلُّع إلى التقارير ، وهى تحك ذقنها بسبَّابتها فى عصبية

« كل المسارات السابقة تشير إلى هذه البقعة .. »

أدار (أكرم) عينيه فى وجوه فريق الشرطة ، الذى يستعد لمطاردة النووى ، وهو ينطق عبارته ، مشيرًا إلى منطقة محدودة ، على خريطة العاصمة ، ثم استطرد ، ملوِّحًا بسبابته :

ـ وهذا يعنى أن وكر خصمنا يوجد فى مكان ما بعنا ، وسط أطلال (القاهرة) القديمة ، وبالتحديد فى منطقتى (القلعة) أو (المقطم) ، ومهمتكم أن تنتشروا فى المنطقتين ، وتعملوا على تمشيطهما بمنتهى الدقة .. اهدموا كل جدار يعترض طريقكم .. فتشوا كل شبر .. اقلبوا كل حجر ، لو اقتضى الأمر .. المهم أن تتوصلوا إلى وكره .

سأله أحد الرجال فى اهتمام :

ـ هل نشتبك معه ، عندما نعثر عليه ؟!

أجابه فى سرعة وحزم :

ـ كلاَّ .. إياكم أن تفعلوا .. المطلوب منكم تحديد موقعه فحسب ، وسيرتدى كل منكم درعًا واقية ، وخوذة زجاجية داكنة ، مضادة للرصاص .

ثم تنهَّد مغمغمًا :

- وأرجو أن تكفى لحمايتكم ، إذا ما اضطررنا للاشتباك معه .

تبادل الرجال نظرات صامتة ، ثم قال أحدهم فى حزم :

- فليكن يا سيدى .. نحن على أتمّ الاستعداد للقيام بالمهمة .

ابتسم (أكرم) ، قائلاً :

- عظيم .. سنغادر المكان الآن ، ونتجه مباشرة إلى الأطلال القديمة ، وهناك سننقسم إلى فريقين ، وسنحاصر المنطقة المطلوبة من الجانبين ، ونعمل على تمشيطها بإيقاع منتظم ، حتى نلتقى فى منتصفها تمامًا ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، خفتت الأضواء بغتة ، وتذبذبت كل المصابيح ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتمتم :

- ربّاه ! ترى هل .. لا .. أرجو أن أكون واهمًا .

استمرّ تذبذب المصابيح لدقيقة كاملة ، ساد خلالها صمت رهيب داخل المكان ، حتى عادت تضىء فى سطوع ، فتطلّع (أكرم) إلى الرجال ، قائلاً :

هيّا بنا .

- انطلقوا جميعًا إلى سياراتهم ، التى اتجهت مباشرة إلى منطقة الأطلال ، وجلس (أكرم) إلى جوار أكبرهم رتبة ، فى سيارة المقدّمة ، وهو يمسك مسدسه فى قوة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فسأله الضابط فى اهتمام :

- هل تشعر بالتوتر ؟!

التفت إليه (أكرم) لحظات فى صمت ، قبل أن يجيب فى اقتضاب :

- بل بالقلق .

غمغم الضابط :

- هذا أمر طبيعى ، عندما يخرج المرء لمهمة كهذه .

هزّ (أكرم) رأسه ، قائلاً :

- لست أشعر بالقلق بسبب المهمة ، وإنما بسبب ذلك الانخفاض المباغت فى التيار الكهربى .

سأله الضابط فى حيرة :

- ولماذا يقلقك هذا ؟! لعله خلل طارئ ، فى مولدات الطاقة القديمة .. أنت تعلم أن هذه الأشياء لم تعد تصلح لأيامنا هذه .

هزّ (أكرم) رأسه فى قوة ، قائلاً :

- كلا .. خلل المولدات القديمة لا يفعل هذا .

مطّ الضابط شفتيه ، وقال :

- ومن أدراك ؟!

ابتسم (أكرم) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

- يمكنك أن تقول : إن لدى خبرة بتلك الأمور .

تطلّع إليه الضابط فى حيرة وتساؤل ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه ، وقال :

- على أية حال ، يمكننا الاتصال بشبكة المولدات ، وسؤالهم عما حدث .

قالها ، والتقط بوق اللاسلكى ، وضغط زره ، قائلاً :

- هنا الفرقة (١) ، من قوات الشرطة الخاصة .. أريد التحدّث مع مسئول شبكة المولدات الكهربية على الفور.

لم يكد ينتهى من عبارته ، حتى هتف الجندى المسئول عن فحص الطاقة ، فى انفعال :

- سيّدى .. منسوب الطاقة مرتفع للغاية ، فى هذه المنطقة .

التفت الضابط و (أكرم) إليه فى لهفة ، ووقع

بصرهما على البقعة الحمراء الكبيرة ، على شاشة الجهاز ، فهتف (أكرم) فى توتر :

- ربّاه ! إنه هو .

صاح الضابط فى سائق السيارة :

- أسرع يا رجل .. انحرف إلى اليسار .. أسرع .

تلقّى السائق الأمر ، ونقله بسرعة إلى خانة التنفيذ ، وانحرف بالسيارة إلى اليسار ، و ...

وفجأة ، ظهر الشاب فى مواجهتهم ..

وكانت قبضته مصوّبة إليهم ..

وعيناه ترمقانهم فى غضب رهيب ..

وكرد فعل تلقائى سريع ، قفز (أكرم) نحو السائق ، وهتف به ، وهو يمسك عجلة القيادة ، ويديرها فى عنف وقوة إلى اليمين :

- احترس يا رجل .

وانحرفت السيارة إلى اليمين فى حدة ..

وانطلق من إطاراتها صرير رهيب مخيف ..

ولكن الشاب أطلق كراته النارية ..

واتسعت عينا الضابط عن آخرهما ..

ودوى الانفجار .

* * *

٤ ـ صاعقة الشيطان ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. السابعة والربع مساءً ..

خيَّم صمت عجيب ، على تلك الحجرة الكبيرة ، فى المرصد الصحراوى القديم ، وقد انهمك كل فرد فيها فى عمل استغرق عليه تفكيره كله ..

(طارق) والدكتور (حجازى) كانا يراجعان أوراق وأبحاث الدكتور (فؤاد) ، فى محاولة للتوصُّل إلى نقطة ضعف ، فى تكوين ذلك النووى ، تفيدهما فى مواجهته ، أو تحديد مرحلة انهيار خلاياه ، التى لم تفقد بعد سماتها البشرية ..

و (رمزى) انهمك فى مراجعة كل تصرفات الخصم السابقة ، فى محاولة لإعداد تقرير نفسى جديد ، يفيد فى استنتاج أو استنباط خطواته القادمة .

أما (نشوى) ، فقد غاصت بكيانها كله فى صنع تلك النسخة المتماثلة للعدو النووى ، وتغيير زاوية رؤيتها ، لقراءة حركات شفتيه ، وكشف ما قاله

لمدير المخابرات العامة ، قبل أن يقضى عليه بمنتهى الوحشية .

وكان (طارق) هو أول من اخترق ذلك الصمت المهيب ، وهو يقول للدكتور (حجازى) :

ـ المدهش أننا فى كل مرة ، نراجع فيها هذه الأوراق ، يمكننا التوصُّل إلى حقيقة جديدة .. هل لاحظت أن الانهيار الخلوى يبطئ تدريجيًا ، بحيث يحتاج ذلك الشاب إلى كميات طعام وساعات نوم أقل ، فى كل مرة ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ لقد لاحظت هذا بالطبع ، وأعتقد أنه يرجع إلى فقدان الطاقة المستمر ، الذى يعيد الخلايا إلى طبيعتها البشرية تدريجيًا ، فتستعيد معدلات نومها وحاجتها للغذاء إلى حد ما .

حكَّ (طارق) ذقنه بسبابته لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ منطق طريف يا دكتور (حجازى) ، ولكن من الناحية النظرية فحسب ، ولكننا نحتاج إلى دليل علمى حاسم ، ليمكننا اعتبار هذا تطورًا فعليًا .

تنهّد الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

ـ فلنأمل عثورنا عليه .

عاد (طارق) يحكّ ذقنه بسبابته بضع لحظات أخرى ، وهو يتطلع فى اهتمام إلى شاشة الكمبيوتر ، ثم التفت إلى (نشوى) ، يسألها فى اهتمام بالغ :

ـ ما الذى توصلت إليه ؟!

فركت عينيها فى إرهاق ، مجيبة :

ـ لقد انتهيت من إعداد المماثل ثلاثى الأبعاد ، وبقيت مرحلة تحريكه .

سألها (رمزى) :

ـ وكم يستغرق هذا ؟!

تثاءبت ، مجيبة :

ـ ساعة واحدة على الأكثر .

انعقد حاجبا (طارق) ، وهو يقول فى قلق :

ـ أتعشّم ألا يستغرق الأمر ما هو أكثر من هذا ، فالنتائج الجديدة ، التى توصلنا إليها الآن ، تشير إلى أن فترة كمونه لن تستغرق أربع ساعات ، كما كنا نتصوّر ، وإنما يحتمل أنه قد استيقظ بالفعل ، منذ دقائق قليلة .

عادت تعمل على الكمبيوتر فى سرعة متوترة ، وهى تقول :

ـ سأبذل قصارى جهدى .

أومأ (طارق) برأسه ، مغمغمًا :

ـ أتعشّم هذا .

ثم التفت إلى الكمبيوتر مرة أخرى ، متابعًا :

ـ والآن يا دكتور (حجازى) .. أعتقد أننا يجب أن ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انخفض منسوب الطاقة بغتة ، وتذبذبت المصابيح فى شدة ، فعاد الصمت يغلّف المكان ، مشوبًا بقلق مبهم ، والجميع يتطلّعون إلى المصابيح المتذبذبة ، ثم يتبادلون النظرات فيما بينهم .

وفى هذه المرة ، قطع (رمزى) الصمت ، قائلاً :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

غمغم (طارق) فى توتر ملحوظ :

ـ لست أدرى ..

ارتجف صوت (نشوى) ، وهى تدير عينيها فى وجوههم ، مغمغمة :

ـ هل تخشون ما أخشاه ؟!

هتف الدكتور (حجازى) :

- لا .. لا يمكنه أن يعيد شحن خلاياه بالطاقة النووية .

التفت إليه (طارق) بحركة حادة ، قائلاً :

- وماذا عن الطاقة الكهربية ؟!

شحب وجه الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

- هل .. هل تعتقد أنه يستطيع التوصل إلى هذا ؟

استدار (طارق) إلى الكمبيوتر ، قائلاً :

- من يدرى ؟!

وراحت أصابعه تعمل بسرعة على أزرار الكمبيوتر، والجميع يتطلعون إليه فى توتر ، حتى قال فى حنق :

- يا إلهى ! هذا ممكن بالفعل .

ثم التفت إليهم ، مستطردًا فى انفعال :

- ستكون كارثة حقيقية ، لو أنه توصل إلى هذه الحقيقة .

غمغم (رمزى) فى شحوب :

- إلى هذا الحد ؟!

تابع (طارق) ، فى كلمات سريعة متوترة :

- صحيح أن خلاياه لا يمكنها احتمال الشحن لمرة

ثانية بالطاقة النووية ، إلا أن التحورات التى أصابتها ، من جراء العقار (سترونجالين) ، والشحن بالطاقة النووية للمرة الأولى ، جعلتها أشبه ببطاريات قوية ، من النوع القابل لإعادة شحنه بالكهرباء(*) ، وهذا يعنى أنه يمكنه إعادة شحنها بالطاقة الكهربية العادية ، كلما نضبت منها الطاقة ، أو احتاجت إلى إعادة تجديد .

سألته (نشوى) فى توتر بالغ :

- هل تعنى أن يمكنه استعادة طاقته بسرعة ؟!

أجابها (طارق) :

- ليس هذا فحسب ، وإنما يمكنه استعادتها من أى مصدر كهربى بسيط أيضًا .

ثم اعتدل ، مستطردًا :

- وهذا يعنى أنه الآن مستيقظ ، ومشحون بطاقة هائلة .

ومال إلى الأمام ، مضيفًا فى حسم :

- باختصار .. لقد صار أكثر قوة .. ووحشية .

(*) يتوافر هذا النوع من البطاريات فى الأسواق ، باسم بطاريات (نيكل كادميوم) .

ومرة أخرى ، غمر المكان صمت مهيب رهيب ..
صمت حمل كل الانفعال ..
وكل الذعر ..

* * *

لوّح الدكتور (ناظم) بيده فى بطء ، وهو يطلق زفرة حارة ، من أعمق أعماق صدره ، قبل أن يقول :

ـ حمدًا لله .. حالة (نور) الصحية تحسّنت كثيرًا ، والأطباء يؤكدون أنه سيستعيد وعيه ، بين لحظة وأخرى .

تنهّد القائد الأعلى بدوره ، قائلاً :

ـ حمدًا لله .

ثم تراجع فى مقعده ، مضيفًا :

ـ كنا سنخسر الكثير ، لو فقدنا هذا الشاب .

وافقه الدكتور (ناظم) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ هذا صحيح .. مثله لا يسهل تعويضه أبدًا .

تمتم القائد الأعلى :

ـ بالتأكيد .

ثم اعتدل يسأله فى اهتمام :

ـ هل عثرت على معلومات جديدة ، بشأن ذلك الشاب (طارق) ؟!

جلس الدكتور (ناظم) على المقعد المقابل لمكتب القائد الأعلى ، مجيبًا :

ـ معلومة واحدة ، ربما كانت عديمة القيمة ، أو بالغة الأهمية .. لست أدرى .

سأله القائد الأعلى ، وقد تضاعف اهتمامه :

ـ وما هى ؟!

أجاب الدكتور (ناظم) :

ـ لقد عرفت السبب الفعلى ، لفصله من الخدمة ، فى أمن الرياسة .

بدا تساؤل ملهوف ، فى عينى القائد الأعلى ، فتابع الدكتور (ناظم) :

ـ لقد استغلّ عمله ، لجمع معلومات بالغة السرية ، حول خطة ارتياد الفضاء .

بدت دهشة واضحة على وجه القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ خطة ارتياد الفضاء ؟! ولماذا يعنيه أمر كهذا ؟!

هزّ الدكتور (ناظم) كتفيه ، وقال :

ـ لقد برز هذا فى التحقيقات ، بأنه شديد الشغف والولع بالفضاء والكواكب والنجوم ، منذ حداثته ،

وأكد أنه لم يطلع أى شخص آخر على تلك المعلومات ، ولم تكن لديه أدنى نية فى أن يفعل .. ولقد تم التحقيق فى الأمر فعليًا ، واستغرق هذا ما يقرب من عام كامل ، اتضح بعده أنه جمع هذه المعلومات لأغراض شخصية بالفعل ، وليس لأسباب أمنية أو تجسسية ، لذا فقد اكتفى رؤساؤه بفصله من الخدمة ، ولكنهم لم يسجلوا ما حدث فى ملفه ؛ ولهذا لم يعثر عليه رجالنا ، عندما أجروا تحرياتهم بشأنه ، قبل إلحاقه بالعمل هنا .

صمت القائد الأعلى بضع لحظات ، قبل أن يسأل فى اهتمام مشوب بالقلق :

ـ وماذا لو أنه كرَّر هذا معنا ؟! أو لعله فعله بالفعل !!

لوح الدكتور (ناظم) بسبابته نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلا .. لم يفعل .. لقد تحققت من هذا بنفسى ، وراجعت كل خطوة قام بها ، منذ التحق بالعمل معنا .

وصمت لحظة ، هزَّ خلالها رأسه ، قبل أن يتابع :

ـ يبدو أنه قد استوعب جيدًا ذلك الدرس القاسى ، الذى تسبَّب فى فصله من أمن الرياسة .

تمتم القائد الأعلى فى حذر :

ـ ربما .

وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، ليغرق فى أفكاره بضع لحظات ، ثم يضيف فى حيرة واضحة :

ـ عجيب أمر ذلك الشاب بالفعل يا دكتور (ناظم) !! إنه عبقرى ، لا يضارعه أحد فى مضماره ، على الرغم من سنوات عمره القليلة ، ولقد أثبت تفوقًا ملحوظًا ، طوال فترة عمله معنا ، وخاصة فى مراحل تطوير الوقود الأمينى ، والزى القتالى (م ف ـ ١٨) ، وعندما التحق بفريق (نور) ، برزت من أعماقه عشرات المواهب الأخرى ، فهو مقاتل بارع ، ومخطط استراتيجى على أرفع مستوى ، وفدائى من الطراز الأول ، وله موهبة قيادية ملحوظة .. ولكن العجيب أن كل هذا محاط بغلاف غامض ، لا يمكنك رفعه عن شخصيته قط ، حتى إنك تشعر بالقلق تجاهه ، ولكنك تعجز عن الاستغناء عنه فى الوقت ذاته .. يا للغرابة !!

ران عليهما الصمت لحظات ، ثم قال الدكتور (ناظم) فى خفوت :

ـ أعتقد أنك عاجز مثلى ، عن اتخاذ قرار حاسم بشأنه .. أليس كذلك ؟!

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا فى شرود ، واستغرق فى التفكير بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ ولكننى أعتقد أنه لا توجد ضرورة قصوى ، لاتخاذ قرار حاسم بشأنه ، فى الوقت الحالى .. إنه يبلى بلاءً حسنًا فى هذه العملية ، ويمضى قدمًا على نحو مدهش ، وأعتقد أن براعته ومواهبه سيغطيان غياب (نور) ، فى هذه المرحلة الدقيقة .. فليواصل عمله إذن ، حتى يقضى على ذلك النووى ، أو ينجح فى إيقاف وإفساد حملته الثأرية الرهيبة ، التى يعلم الله (سبحانه وتعالى) وحده ، من الذى تستهدفه فى ضربته القادمة .

ثم تراجع فى مقعده ، متابعًا فى حزم أكثر :

ـ وبعد أن ينتهى هذا الأمر ، سيكون لى معه شأن آخر .

وافقه الدكتور (ناظم) بإيماءة من رأسه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، إلا أن ملامحه ظلت تحمل لمحة

من ذلك القلق ، الذى يفجره سؤال يتردد طوال الوقت فى رأسه ..

ما سر ذلك الغموض ، المحيط بشخصية (طارق) ؟!

ولماذا يشعر حياله طوال الوقت بالحيرة ؟!

وبالقلق !!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

* * *

انحرفت سيارة الشرطة فى اللحظة الأخيرة بصعوبة .

وتجاوزتها كرة النار بسنتيمترات قليلة ..

ولكنها واصلت طريقها ، لترتطم بالسيارة التى خلفها تمامًا ..

ودوى الانفجار ..

لم يكن انفجارًا عاديًا ، لو صحّ القول ..

وإنما كارثة ..

لقد انفجرت سيارة الشرطة ، بكل من فيها ، ووثبت مع الانفجار ثلاثة أمتار إلى أعلى ، قبل أن تهوى بكل ثقلها ونيرانها ، على السيارة التى خلفها

تماما ، فانفجرت بدورها بمنتهى العنف ، وتطايرت شظاياهما لتخترق ثلاث سيارات تالية ، وتناثر الوقود المشتعل منهما ، ليغمر مساحة واسعة من الأرض ..

واضطربت قافلة السيارات كلها ، مع تلك الانفجارات العنيفة ، واختلت مساراتها فى ارتباك شديد ، قبل أن تتوقف ، ويقفز الرجال من سياراتهم ، بمدافعهم الليزرية ودروعهم القوية ، للتصدى لذلك العدو الرهيب ..

أما السيارة ، التى تحمل (أكرم) والضابط ، وعددًا من الجنود ، فقد أدى انحرافها المباغت إلى اندفاعها وسط الأطلال ، فارتطمت بقطع الصخور الضخمة ، وحاول سائقها السيطرة عليها عبثًا ، إلا أنها لم تلبث أن انقلبت فى عنف ، وتدحرجت بشدة وسط الصخور ، قبل أن تتوقف ، وتشتعل فيها النيران ..

وفى نفس اللحظة ، التى دفع (أكرم) جسده فيها ، خارج السيارة المشتعلة ، وراح يجذب الضابط منها ، كان النووى يطلق نحو الرجال كرته النارية الثانية ، التى انفجرت فى صدر أحد الجنود ، واقتلعته من مكانه ، ليرتطم برفاقه فى قوة ، وتنتقل النيران من جسده إليهم ..

وأطلق الجنود مدافعهم نحو العدو فى توتر بالغ ..
وذابت الطلقات كلها على الغلاف الواقى المحيط به .
وأطلق النووى صرخات غاضبة مجنونة ، وهو يطلق نحوهم كراته النارية ..

وسمع (أكرم) الانفجارات تدوى فى كل مكان ، وهو يبعد الضابط عن السيارة ، التى لقى كل من تبقى فيها مصرعه ، فغمغم فى حنق مرير :

ـ اللعنة ! لقد أخبرونا أننا سنجده نائمًا ، وها هو ذا مستيقظ للغاية ، وقد تحول إلى وحش كاسر .

أسند الضابط الفاقد الوعى إلى أحد الجدران المتهدمة ، وانتزع مسدسه من حزامه ، وتحرك على أطراف أصابعه ، نحو منطقة الصراع ..

وهناك اتسعت عيناه فى ارتياع ..

كانت جثث القتلى والمصابين تغطى تلك البقعة من الأطلال ، والنيران تشتعل فى كل مكان ، وتندلع حتى فى أجساد بعض رجال الشرطة ، الذين يعدون فى كل مكان ، وهم يطلقون صرخات الألم والذعر ، فى حين واصل من تبقى منهم القتال فى يأس ، وراحوا يطلقون نيران وأشعة مدافعهم نحو النووى ،



وانتزعه من مكانه ، وطار به لستة أمتار كاملة فى الهواء ، قبل أن يسقط فى عنف وسط الأطلال

الذى انطلقت كراته النارية تسحقهم واحدًا بعد الآخر .

ولم يدر (أكرم) ما الذى يمكن أن يفعله ، فى موقف كهذا ، إلا أنه لم يستطع الوقوف ساكنًا ، والرجال يقاتلون بهذه البسالة ، فوثب عبر جزء من حائط قديم ، وهتف ، وهو يطلق رصاصات مسدسه نحو الشاب :

ـ مت أيها الوغد .. مت ..

كان واثقًا من إجادته للتصويب ، إلا أن رصاصاته لم تبلغ النووى قط ..

لقد ارتطمت بدرعه الكهرومغنطيسى الواقى ، وانحرفت عنه فى عنف ..

والتفت إليه الشاب بنظرة غاضبة ..

وانطلقت منه صرخة مخيفة ..

مع كرة من النار ..

وفى نفس اللحظة ، وثب (أكرم) مبتعدًا ..

ودوى الانفجار من خلفه فى عنف ..

وانتزعه من مكانه ، وطار به لستة أمتار كاملة فى الهواء ، قبل أن يسقط فى عنف وسط الأطلال ..

وعلى الرغم من عنف السقوط ، ومن عشرات

الإصابات والسحجات والكدمات ، التى أصابت جسده ، فى كل موضع تقريبًا ، إلا أنه لم يكد يسقط ، حتى وثب واقفًا على قدميه ، وانطلق يعدو مبتعدًا ..

وبوثبة مرنة مدهشة ، عبر جدارًا متهدمًا ، و ...

وفى نفس اللحظة تقريبًا ، أطلق النووى نحوه كرته النارية الجديدة ..

وأصابت الكرة الجدار ، الذى عبره (أكرم) على الفور ..

ودوى انفجار جديد ..

وانهار الجدار كله ..

وتألقت عينا النووى ببريق مخيف ، أضاء المكان كله ، وهو يتطلع فى ظفر إلى جسد (أكرم) ، الذى بدا جزء منه تحت الجدار المنهار ، ثم رفع قبضته ، ليطلق نحوه كرة نارية أخرى ..

ولكن رجال الشرطة البواسل شنوا هجومًا جديدًا ..

وفى هذه المرة ، من ثلاث محاور مختلفة ..

كانت مناورة قوية بالفعل ، فلقد انهالت عليه نيرانهم ، من ثلاثة مواضع مختلفة ، على نحو يكفى لنسف أى خصم ..

فيما عدا هو ..

لقد استوعب غلافه الواقى الهجوم جيدًا ، فلم تبلغه أية رصاصات ، ولم ينفذ إليه خيط ليزرى واحد ..

ولهذا فقد استدار إلى مهاجميه ، والغضب يشتعل فى كل خلية من خلاياه ..

وأطلق كراته النارية ..

ومرة أخرى ، انطلقت صرخات الرجال ..

لم تحمهم دروعهم الواقية ، أو خوذاتهم الداكنة ..

لقد نسفتها كراته النارية نسفًا ..

وقضت عليهم فى عنف مخيف ..

وطارت الأجساد المشتعلة فى كل مكان ..

وأزهقت عشرات الأرواح فى دقائق معدودة ..

وسالت أنهار من الدم ..

ثم توقف كل شىء ..

وبرقت عينا النووى مرة أخرى ، ببريق أشد سطوعًا هذه المرة ، وهو يقف وسط المذبحة ، التى اقترفتها يداه ..

والعجيب أنه كان يشعر بالزهو والظفر ..

وإلى أقصى حد ..

وفى قمة نشوته ، راح عقله يسترجع أحداث الساعات الأخيرة ..

لقد عاد إلى وكره ، والدماء تنزف من موضع الرصاصات ، التى أصابه بها (أكرم) ..

كان يحمل كميات الطعام ، التى استولى عليها من المتجر ، وقدرًا هائلاً من الغضب والثورة فى أعماقه ..

ولكنه لم يكد يدلف إلى وكره ، حتى انتبه إلى ظاهرة مدهشة ..

لقد بدأ جسده يلفظ تلك الرصاصات ..

خلاياه الخارقة رفضت وجود أى جسم غريب داخلها ، فألقت الرصاصات خارجها ..

وسقطت الرصاصات عند قدميه ..

وكان لصوت ارتطامها بالأرض رنين جميل ..

رنين النصر ..

وتألّقت عيناه فى نشوة ، وهو ينقضّ على الطعام ، ويلتهمه فى شراهة تفوق شراهة جواد جائع ..

ولم يكد ينتهى من وجبته الضخمة ، حتى راودته تلك الرغبة العارمة فى النوم ..

ولكنه قاومها بشدة هذه المرة ..

كان يحتاج إلى معرفة ما فعلته به الرصاصات .. وبسرعة ..

وعلى الرغم من الدوار الذى أحاط برأسه ، جلس أمام جهاز الفحص ، وراح يوصل الأسلاك بجسده ، و ...

ودون أن يدرى ، انتزع أحد الأسلاك فى عنف ..

وتلامس جسده مع سلك كهربى عار ..

وشعر بالتيار الكهربى يسرى فى جسده ..

وفى عروقه ..

وخلاياه ..

وتلاشى الدوار على الفور ..

ودبّ فى جسده نشاط مباغت ..

وتألّقت عيناه فى قوة ..

ترى ما الذى فعلته به الكهرباء ؟!

أية قوة تلك ، التى سرت فجأة فى عروقه ؟!

وفى لهفة ، أمسك الجزء العارى من السلك الكهربى ، ودفعه فى جسده ..

وانطلقت من حلقه صرخة قوية ..

صرخة ظافرة منتشية ..

وتذبذبت مصابيح الحجرة ، عندما راح جسده يلتهم الطاقة الكهربائية ، فى نهم وشراهة مخيفين ..

بل وتذبذبت كل مصابيح (القاهرة) الجديدة وضواحيها ..

وبرقت عيناه على نحو مخيف ..

وأضاءت الحجرة كلها بوميض قوى .. للغاية ..

وفى قمة نشوته ، وشعوره بالتفوق والظفر ، غادر النووى مكمنه ، وخرج يهدف إلى الضحية التالية ، فى حملته الثأرية الوحشية ..

ولكنه وجد سيارات الشرطة فى مواجهته ..

وكان ما كان ..

تألقت عيناه أكثر وأكثر ، عندما استعاد تلك الذكرى القريبة ، وأدار عينيه فيما حوله ، وكأنما يتمتع بمرأى حمام الدم ، الذى غاص فيه حتى عنقه ، قبل أن يطلق زمجرة وحشية ، ويغادر الأطلال ، فى طريقه لاقتناص روح ضحية جديدة ..

وبينما راح شبحه يختفى ، وسط الظلام والأطلال ،

ندت من أسفل الجدار المنهار آهة ألم ، وتحركت أصابع (أكرم) فى صعوبة ، ثم لم تلبث يداه أن جاهدتا ، لتبعدا عنه تلك الأحجار المحطمة ، قبل أن يبرز رأسه من تحتها ، وهو يتمتم :

ـ ربَّاه ! إننى حى .. لقد استثنيتنى مرة أخرى من عالم الموتى .. إننى حى !

كان يشعر بمزيج من الفرح والدهشة ؛ لنجاته من موقف عنيف كهذا ، لذا فقد أخذ يرفع الأحجار الصغيرة عن جسده ، غير مبال بالدماء ، التى تنزف من عشرات المواضع به ، ولكنه لم يكد ينهض ، ويلقى نظرة على ما حوله ، حتى سرت فى جسده قشعريرة باردة ، وهو يهتف :

ـ ربَّاه ! لقد قتلهم جميعًا .

قفز شعور بالغثيان إلى حلقه ، فانحنى يفرغ ما بجوفه وسط الأطلال ، وهو يهتف :

ـ الوغد الحقير .. الوحش الآدمى .. يا للبشاعة ! يا للبشاعة !

تحركت آلام عنيفة فى معدته ، جعلته يبتعد عن المكان فى خطوات سريعة ، وهو يردد :

- لقد صدق (رمزى) .. إنه مجنون حقيقى .. مجنون بشع .. من غير مجنون مثله ، يمكن أن يفعل كل هذا ، دون أن يطرف له جفن ؟! مَنْ ؟!

فجأة ، ومع آخر حرف نطق به ، لمح ذلك البصيص من الضوء ..

وتعلق به بصره ..

وكيانه كله ..

وفى دهشة بالغة ، غمغم :

- عجبًا ! المفترض ألا يصل التيار الكهربى إلى هنا .

تحسَّس حزامه ، بحثًا عن مسدسه ، ولكن المسدس لم يكن هناك ، فعاد يبحث عنه عند الجدار المتهدِّم ، حتى عثر عليه ، فغمغم فى ارتياح :

- حمدًا لله .. إننى أفتقدك كثيرًا يا صديقى .

قالها ، وأمسك مسدسه فى قوة ، وتحرك فى حذر ، نحو مصدر الضوء ، ولم يكد يبلغه ، حتى تسارعت دقات قلبه ، وهو يغمغم :

- ربَّاه ! أمن الممكن أن ...

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلع إلى جزء من

الجدار ، برز إلى الخارج ، وظهر الضوء من خلفه ، ثم حسم أمره ، وقال :

- فليكن .. (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا)(*) .

ثم دفع ذلك الجزء من الجدار ، وعبر الفجوة الناشئة بقفزة واحدة ، وهو يشهر مسدسه ، و ...

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

وخفق قلبه فى عنف ، حتى كاد يثب من بين ضلوعه ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، فى دهشة وانفعال ..

لقد عثر على وكر العدو الخارق ..

وعلى مخزن أسراره ..

كل أسراره ..

* * *

« أعتقد أننى نجحت يا رفاق .. »

نطقت (نشوى) العبارة فى انفعال واضح ، جعل الجميع يلتفتون إليها فى انفعال ، وسألها (طارق) فى لهفة :

(*) الآية رقم (٥١) ، من سورة التوبة (القرآن الكريم) : بسم الله الرحمن الرحيم : { قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا } صدق الله العظيم .

ـ هل فعلت حقًا ؟!

وراح يدفع قدمه المصابة أمامه ، ليصل إلى موقعها ، وسبقه (رمزى) والدكتور (حجازى) إليه ، والأول يسألها :

ـ هل يمكنك تحريك صورته الآن ؟!

أجابت ، وهى تضغط أحد الأزرار :

ـ بالتأكيد .

تعلق بصر الجميع بالمشهد على الشاشة ، وخفقت قلوبهم فى قوة ، عندما دارت زاوية الرؤية ، لتواجه النووى ، وهو يتحدث إلى مدير المخابرات ..

ودون اتفاق مسبق ، وعلى نحو تلقائى ، تطلع الجميع إلى عينيه ..

وارتجفوا ..

كان الشرُّ والغضب يطلان منهما مجسمين ، وهو يحدق فى ضحيته ..

وكانت شفتاه تتحركان بحديث صامت ..

وانتقلت عيون الجميع إلى الشفتين ..

وفى توتر بالغ ، قالت (نشوى) :

ـ يمكننى الآن أن أضيف برنامجًا لحركات الشفاة ، و ...

قاطعها (طارق) :

ـ لا داعى .. إنه يخبره أن ما يفعله به هو انتقام منه ، بسبب قضية (سالم عمران) .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، فعقد حاجبيه ، مغمغمًا :

ـ كان أحد أقرب أصدقائى أبكمَ أصمْ ، ولقد اعتدت قراءة حركات الشفاه منذ صباى .

تبادل ثلاثتهم نظرات صامتة ، قبل أن يغمغم الدكتور (حجازى) :

ـ لديك لكل تساؤل جواب .

ازداد انعقاد حاجبى (طارق) ، وهو يقول :

ـ ليس هذا هو المهم الآن .. المهم أن لدينا اسم الشخص ، الذى يثأر النووى له ، وهذا ما كنا نحتاج إليه منذ البداية .

قالت (نشوى) فى حماس :

ـ صدقت .

وبسرعة ، انطلقت أصابعها على أزرار الكمبيوتر ، تستدعى ملف قضية (سالم عمران) ، وظهرت البيانات على الشاشة فى لحظات ، فطالعها الجميع فى

بلهفة ، وقال الدكتور (حجازى) فى انفعال جارف ، لم يستطع كتمانه :

- ها هى ذى .. إنه جاسوس تم إلقاء القبض عليه ، فى أوائل ثمانينات القرن العشرين ، فى أثناء عمله لحساب (إسرائيل) ، ولقد حوكم ، وصدر ضده حكم بالإعدام ؛ لأنه قتل اثنين من حراس أحد المبانى العسكرية ، ليسرق مخطوطات باللغة السرية .. انظروا .. ها هى ذى أسماء المشاركين فى القضية .. ضابط المخابرات ، الذى أصبح فيما بعد مديرًا للمخابرات العامة ، ووكيل النائب العام ، الذى صار نائبًا عامًا ، فى أواخر التسعينات ، وضابط مباحث أمن الدولة ، الذى احتلّ فيما بعد منصب وزير الداخلية ، ثم المدّعى العام العسكرى ، الذى يتبوأ الآن منصب قائد الجيوش المشتركة .

هتفت (نشوى) :

- ربّاه ! إذن فهذا هو ضحيته التالية .

أمسك (طارق) يدها بغتة فى قوة ، وهو يشير إلى الشاشة ، قائلاً فى انفعال شديد ، لم يتصرّف به قط من قبل :

- إنكم لم تقرءوا بعد اسم الشاهد الأوّل فى القضية .

انتقلت عيونهم جميعًا إلى الاسم ، الذى يشير إليه (طارق) ..

ثم انتفضت قلوبهم كلها فى عنف ..

فالشاهد الأوّل فى قضية (سالم عمران) ، والذى أدّت شهادته إلى إدانة المتهم ، والحكم بإعدامه ، يحتل فى الوقت الحالى ، أرفع منصب فى الدولة كلها ..

منصب الرئيس ..

رئيس الجمهورية ..

شخصيًا .

* * *



٥ ـ الضـربة ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. الثامنة مساء .

على الرغم من الهدوء الشديد ، الذى ساد منطقة الفيلات العسكرية ، عند أطراف (القاهرة) الجديدة ، كان رجال الحراسة ، المحيطون بفيلا وزير الدفاع ، يشعرون فـى أعماقهم بتوتَر بالغ ، جعلهم يقبضون على مدافعهم فى قوة طوال الوقت ، ويتلفَتون حولهم فى شـىء مـن العصبيـة ، وكلهـم تـأهُب وتحفـز ؛ لمواجهة أى هجوم مباغت أو خاطف ، بعد الأوامر المشدَدة التى تلقوها ، والتحذيرات الصارمة الحازمة ، بالإضافة إلى ما بلغهم حول سلسلة الاغتيالات العنيفة ، خلال الساعات الأخيرة ، وأسماء المسئولين ، الذين لقوا مصرعهم ، على نحو بالغ العنف والوحشية ، مع أطقم حراستهم ، التى لم يمكنها الصمود ، امام عدو خارق مجهول ، لا يعرف شفقة أو رحمة ، أو هوادة ..

وفى عصبية ملحوظة ، سأل أحدهم زميله ، وهو يشير إلى ساعته :

ـ عجبًا ! إنها لا تزال الثامنة ! ألا تشعر بأن الوقت يسير فى بطء الليلة ؟!

تمتم زميله ، وهو يتلفت حوله فى توتر :

ـ هذا أمر طبيعى .

تنهَد الأوَل ، قائلاً :

ـ هل تعتقد أن ذلك السفَاح سيواصل ضرباته الليلة ؟!

هزَ زميله رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا أحد يدرى .. إنهم يقولون : إن تحركاته سريعة للغاية ، وإنه يوجِه ضربته لعدد من المسئولين السابقين والحاليين ، على نحو عشوائى ، يصعب معه استنتاج موضع ضربته التالية .

وافقه الأوَل بإيماءة من رأسه ، وأضاف ، وهو يتلفَت حوله فى توتر :

ـ لهذا صدرت الأوامر بمضاعفة وتشديد الحراسة ، بالنسبة لجميع المسئولين ، سواء السابقين أو الحاليين .

ثم عاد يسأل زميله فى قلق :

ـ ولكن هل تعتقد أن هذا يكفى ؟!

مطّ زميله شفتيه ، وأجاب :

ـ لست أدرى .. الصورة التى نقلها إلينا الزملاء ، فى الإدارة العسكرية ، توحى بأنه ما من وسيلة لمواجهته ، وأن كل أسلحتهم لا تؤثّر فيه ، ولا ...

قاطعه زميله ، وهو يتراجع ، هاتفًا :

ـ رباه !

وقبل أن يلتفت إلى حيث يحدّق زميله ، دوى الانفجار ..

انفجار عنيف للغاية ، أطاح بنصف سور الفيلا الأيسر دفعة واحدة ، وارتجّت له المنطقة كلها ، على نحو لم يشهده أى من العسكريين المقيمين فيها ، منذ انتهت حرب التحرير ..

ومع الانفجار ، لقى ثلاثة من رجال الحراسة مصرعهم ، فى حين تحرّك الباقون فى سرعة ، لحماية وزير الدفاع ، والذود عنه ..

ولكن النووى انقضّ كالعاصفة ..

عاصفة نووية عاتية ، هبّت فى وجوههم ، على هيئة سيل من الكرات النارية ، راحت تنفجر يمينًا ويسارًا ، وتقتلع الرجال ، واحدًا بعد الآخر ..

كان من الواضح أن قوة النووى قد تضاعفت مرتين على الأقل ..

وأنه صار أكثر قوة ..

وشراسة ..

وجنونًا ..

وعلى الرغم من وجود خطة متكاملة ، لإنقاذ وزير الدفاع ، فى حالة حدوث هجوم مباغت ، إلا أننا لا نستطيع أن نظلم طاقم أمنه قط ، فقد كان النووى يتحرّك بسرعة مذهلة ، وعلى نحو يستحيل أن تصمد أمامه أية قوة ..

أو أية إجراءات أمنية ..

مهما كانت ..

لقد نسف الأسوار ، وسحق كل من اعترض طريقه ، ودمّر جدران الفيلا ، واقتحمها فى عنف ، وأطلق كراته النارية على كل رجال الأمن والحراسة داخلها ..

وكل هذا خلال عشر ثوان فحسب ..

والواقع ، الذى لا يمكن أن يختلف عليه اثنان ، هو أن الرجال قد قاتلوا وحاربوا فى استماتة ، وأن

الفريق المسئول عن الحماية الشخصية للوزير ، كان على أرفع مستوى ، من التدريب والكفاءة والقدرة ..

ولكن ماذا يمكن أن يفعل كل هذا ، فى مواجهة إعصار نووى مدمّر كهذا ؟!

لقد انهارت أمامه الجدران ، والقدرات ، ووسائل الدفاع ، والقتال ، والحماية ..

ودون الدخول فى تفاصيل بشعة مؤلمة ، يكفى أن نقول : إن الأمر قد انتهى على النحو نفسه ، الذى انتهى إليه ، عند منزل مدير المخابرات العامة ..

الجميع لقوا مصرعهم ، فيما عدا الوزير ، الذى حرص النووى على الإبقاء عليه حيًا ، لينتزعه من مكانه بمنتهى القسوة ، ويتطلّع بنظرة نارية ملتهبة ، إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :

ـ أراهن على أنك ـ وعلى الرغم من كل ما حدث ـ مازلت تجهل لماذا اخترتك بالذات ، من دون الآخرين !

أجابه الوزير فى صرامة ، على الرغم من ثقته من نهايته المحتومة :

ـ ربما لأنك وغد قذر ، يرغب فى استعراض عضلاته وقدراته ، بعدد من المذابح الوحشية ، التى جعلته

يحتلّ مكانة أدنى من أحقر حيوانات الأرض .

أضاءت عينا النووى ، وهو يقول :

ـ خطأ يا رجل .. إجابة خاطئة ، تستحق ما سأفعله بك بعد قليل .

أغلق وزير الدفاع عينيه ، أمام ذلك الضوء المبهر ، المطلّ من عينى خصمه ، الذى مال نحوه أكثر ، وهو يقول فى لهجة مخيفة :

ـ إنك تموت من أجل ما فعلته فى قضية (عمران) .

قال الوزير فى توتر :

ـ (عمران) ؟! (عمران) من ؟!

قال النووى فى غضب :

ـ هل نسيته يا رجل ؟! هل نسيت تاريخك ؟! هل ضاع من ذاكرتك اسم (سالم عمران) ، الذى لم تتردد فى إعدامه ؟!

هتف الوزير فى انفعال :

ـ آه .. (سالم عمران) .. ذلك الجاسوس .. إننى أذكره بالطبع .. لقد نال ما يستحقه يا هذا ، فخيانة الوطن لا تستحق سوى الموت ، وبلا أدنى رحمة .

صرخ النووى فى غضب :

- الموت ؟! بهذه البساطة ؟! أهذا ما كنتم تدخرونه له ؟!

أجابه الوزير فى صرامة ، وهو يشيح بوجهه ، متجنبًا الضوء الساطع :

- بل هذا ما ادخره لنفسه يا هذا .. لقد خان الوطن ، والموت جزاء من يفعل هذا .

برقت عينا النووى أكثر ، وهو يقول :

- والموت جزاء من ألقى به إلى الموت .. عين بعين .

صاح به الوزير :

- لا تخدع نفسك بعبارات براقة أيها المجرم .. ما قلته قول حق ، يراد به باطل .. العين لا تؤخذ بالعين ، إلا من قبل أولى الأمر ، وبناء على تحقيقات وأحكام عادلة ، وعندما أعدمنا ذلك الجاسوس الحقير ، كنا نطبق بالفعل مبدأ العين بالعين .. هو قتل الحارسين ، ونحن قتلناه .

ثم انعقد حاجباه فى صرامة ، مستطردًا :

- ولو أننى أموت ، ثمنًا لواجب أديته ، بعقل وضمير راضيين ، فمرحبًا بالموت .

ثم مزّق قميصه عند الصدر ، هاتفًا :

- هيا .. خذ حياتى ثمنًا لواجبى .

جنّ جنون النووى ، إزاء ذلك الموقف الحازم للوزير ، فصرخ بكل غضب الدنيا :

- مادمت تشتهى الموت ، فها هو ذا .

وانقضّ عليه يمزّقه فى وحشية ، صارخًا :

- مت من أجل (عسران) .. مت من أجل ما فعلته به .

كان الجنون يصرخ ويعربد فى عينيه ، ويتراقص فى ملامحه مع كل شياطين الجحيم ، والزبد يتساقط من بين شفتيه ، كما لو أنه قد صار بالفعل وحشًا ضاريًا مسعورًا ..

وتناثرت الدماء فى كل مكان ، وأحاطت به فى دائرة واسعة ، وعيناه تومضان ..

وتومضان ..

وتومضان ..

كانت النيران تشتعل فى أعماقه ، وثورة الغضب تكاد تعصف بكيانه ، على الرغم من نجاحه فى تمزيق ضحيته الرابعة ..

بسالة وزير الدفاع وشجاعته ، جعلتاه يفقد لذة انتصاره ..

وبدلاً من أن يشعر بالظفر ، راحت أعماقه تحترق بالغيظ ..

واطلق النووى صرخة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

ثم ركل أشلاء الوزير الشهيد فى حنق ، قبل أن يتجه فى خطوات واسعة سريعة نحو الفيلا ..

وبكل غضبه وثورته ، راح يبحث عن مصدر للطاقة الكهربية ، ولم يكد يجده ، حتى انتزع أزراره من الجدار ، وهو يقول :

ـ كلهم سيموتون .. كلهم سيدفعون الثمن .. كلهم ..

وبمنتهى العنف ، انتزع الأسلاك الكهربية من الجدار ، ودفعها فى جسده ..

وبرقت عيناه فى قوة ..

ومرة أخرى ، تذبذبت المصابيح ، فى (القاهرة) الجديدة كلها ..

وتدفقت فى جسده طاقة هائلة ..

طاقة تكفى لإعادة شحن خلاياه بالطاقة ..

وتمنحه ضعف قواه السابقة ..

وربما أكثر ..

ولدقيقة كاملة ، ظلّت الطاقة الكهربية تنساب من الأسلاك إلى جسده وعروقه وخلاياه ، حتى شعر بقوة هائلة فى كيانه ، فألقى الأسلاك ، وأطلق ضحكة ظافرة قوية مزهوّة ، قبل أن يضمّ قبضته ، ويرفعها إلى وجهه ، قائلاً :

ـ الآن لم أعد بحاجة إلى ذلك النوم العميق .. ها هى ذى خلاياى تعيد شحن نفسها بالطاقة الكهربية .

بدا من بعيد دوى أبواق سيارات الأمن والإطفاء ، التى تهرع إلى المكان ، ولكنه لم يبال بها ، وهو يدير عينيه المتألقتين فى المكان ، قبل أن يغمغم :

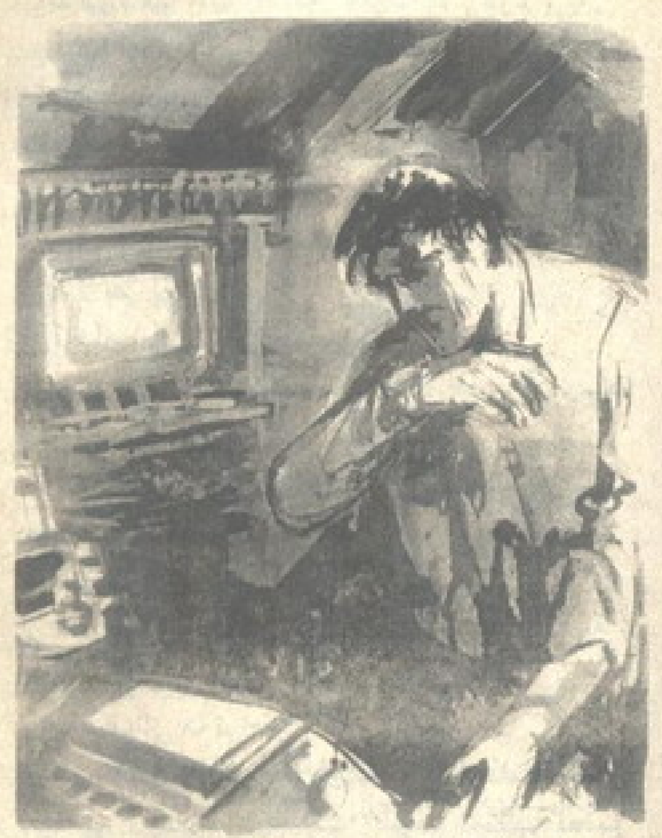
ـ فيم الانتظار إذن ؟!

وفى زهو ، راح يتحرّك نحو مدخل المكان ، وغلاف الإخفاء يحيطه تدريجيًا ، حتى تلاشى تمامًا ، وهو يغادر المكان كله ، متجاوزًا سيارات الأمن ، ومتجهًا مباشرة نحو هدفه الأخير ..

نحو الرئيس ..

رئيس الجمهورية ..

* * *



ثم رفع ساعته إلى شفتيه ، وضغط زر الاتصال فيها ، وهو يقول :
ـ من (أكرم) إلى الفريق ؟

لدقيقة كاملة تقريبًا ، وقف (أكرم) مبهورًا ، داخل وكر النووى ، يدير عينيه فيما حوله ، منشغلاً عن آلام إصاباته المتعددة ، وعن الدماء التى تسيل من كل مكان بجسده تقريبًا ، ثم لم يلبث أن هتف فى انفعال شديد :

ـ رباه ! إنه ليس مجرد وكر عادى ، إنه مركز قيادة متقدم .

ثم رفع ساعته إلى شفتيه ، وضغط زر الاتصال فيها ، وهو يقول :

ـ من (أكرم) إلى الفريق ... لن يمكنكم أن تتصوروا أين أقف الآن يا رفاق .

أتاه صوت (نشوى) وهى تهتف فى لهفة :

ـ (أكرم) .. أين أنت ؟! لقد بلغتنا أخبار هجوم ذلك النووى على قافلة الشرطة .. لقد خشينا أن ...

قاطعها فى حزم :

ـ ليس بهذه السهولة يا صغيرتى .. لن ينال منى ذلك الوغد ، قبل أن أغرق رأسه فى بحور الدماء التى أراقها .

انبعث صوت (طارق) ، عبر الساعة ، وهو يسأل فى اهتمام :

- أين ذهب ، بعد مذبحة الشرطة يا (أكرم) ؟!

أجابه (أكرم) بنفاد صبر :

- لست أدرى يا (طارق) .. لقد ارتكب فعلته القذرة ، وانصرف فحسب .. ولكن المهم ما توصلت إليه أنا وسط الأطلال .

هتف (طارق) فى حماس :

- لا تقل لى إنه ..

قاطعه (أكرم) فى حماس أكبر :

- وكره .. نعم يا صديقى .. أنا أقف الآن وسط وكر ذلك الوغد .

جاوبه صمت مطبق ، استمرّ لدقيقة كاملة تقريبًا ، حتى إنه سأل فى توتر :

- (طارق) .. هل تسمعنى ؟!

أتاه صوته هادئًا للغاية ، على نحو مثير للدهشة ، وهو يسأله :

- صف لى ما تراه يا (أكرم) .

لم يتوقف (أكرم) طويلاً ، أمام ذلك التغير المفاجئ ، وكأنما اعتاد تلك الطبيعة المتقلبة لعضو الفريق الجديد ، وإنما راح يصف المكان المحيط به

بمنتهى الدقة ، و (طارق) يستمع إليه فى اهتمام بالغ ، مع (نشوى) والدكتور (حجازى) ، ولم يكد يصل إلى وصف أجهزة الكمبيوتر والفحص ، حتى سألته (نشوى) فى لهفة :

- قل لى يا (أكرم) : هل يوجد وسيط هاتفى فى الكمبيوتر(*) ؟!

أشعل (أكرم) الكمبيوتر ، وهو يغمغم :

- لست أدرى .. أخشى أن يكون الجهاز مؤمّنًا بكلمة سر أو ما شابه .

انتهى من عبارته ، وهو يتطلّع إلى الشاشة فى قلق ، ثم لم يلبث أن مطّ شفتيه فى أسف ، قائلاً فى حنق :

- هناك كلمة سر بالفعل .

أجابته (نشوى) :

- لا بأس .. كنت أتوقّع شيئًا كهذا .. اسمعنى جيدًا يا (أكرم) .. هل يمكنك أن توصل ساعتك بالكمبيوتر ؟!

(*) الوسيط الهاتفى للكمبيوتر : أو (المودم) هو جهاز يتم توصيله بجهاز الكمبيوتر ، داخليًا أو خارجيًا ، بحيث يمكنه نقل الرسائل والمعلومات عبر الهاتف ، بسرعات مختلفة ، طبقًا لنوعه وكفاءته وثمنه .

أجابها فى اقتضاب ، وهو يجذب سلكًا دقيقًا من الساعة :

ـ بالتأكيد .

وفى سرعة ودقة ، راح يوصل السلك بالكمبيوتر ، وصوت (طارق) ينبعث من الساعة ، قائلاً فى قلق :

ـ أسرع بالله عليك يا رجل .. ربما يعود ذلك الوغد فى أية لحظة .

فجرُ ذلك القول كل القلق ، فى أعماق (أكرم) ، ولكنه واصل عمله ، متمتمًا :

ـ أعلم هذا .. أعلم هذا .

انتهى من توصيل الكمبيو ـ بالأسلاك ، وقال :

ـ كل شىء تم على ما و ـم يا (نشوى) .

أجابته عبر جهاز الاتصال :

ـ عظيم .. سأوصل جهاز الكمبيوتر الخاص بى بجهازه ، عبر جهاز الاتصال فى الساعة ، وسأستخدم برنامجًا جديدًا لفك الشفرة ، وأتعشم ألا يكون قد استخدم كلمة سر معقدة كثيرًا .

تطلّع (أكرم) إلى مدخل الوكر فى قلق ، قائلاً :

ـ أما أنا ، فأتعشم أن ينتهى هذا ، قبل أن أجد ذلك الوغد أمامى هنا .

لم تجبه (نشوى) هذه المرة ، فقد ظهرت أمامها شاشة كمبيوتر النووى ، فى ركن شاشتها ، وبدأت تتعامل معها ببرنامجها الجديد فى سرعة ؛ للتوصُّل إلى كلمة السر ..

وفى توتر ، راح (طارق) و (رمزى) والدكتور (حجازى) يراقبونها ، وقال الآخير :

ـ ينبغى أن نترك لـ (نشوى) هذه المهمة الآن ، ونبلغ رياسة الجمهورية بما توصلنا إليه على الفور .. من الخطر أن نعلم أن رئيس الجمهورية هو الهدف التالى ، ثم لا نبلغه بهذا ، وبأقصى سرعة ممكنة ..

التفت إليه (رمزى) ، قائلاً :

ـ أنت على حق .. لابد أن نبلغه بالأمر على الفور .

قالها ، وهو ينهض إلى هاتف الفيديو ، ولكن قبل أن تبلغه أصابعه ، انطلق أزيزه بغتة ، حتى أن أصابعه ارتجفت فى قوة ، ثم اندفعت تضغط زر الاتصال ، فظهرت على الشاشة صورة الدكتور (ناظم) ، وهو يقول فى انفعال :

ـ النووى ضرب ضربته الجديدة الآن .

خفقت قلوبهم فى عنف ، وأطلّ الذعر من عيونهم ، قبل أن يهتف (رمزى) :

- سيدى .. هل نجح فى ضربته هذه ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) فى مرارة :

- أجل ، للأسف .

شهقت (نشوى) فى قوة ، وتبادل (طارق) والدكتور (حجازى) نظرة مذعورة ، فى حين هتف (رمزى) فى ارتياع :

- رباه ! الرئيس !

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) فى شدة ، وهو يقول :

- الرئيس ؟! ماذا تقصد ؟! لقد اغتال وزير الدفاع منذ دقائق .

ردد (رمزى) فى ذعر :

- وزير الدفاع ؟!

وقال (طارق) فى انفعال :

- لم يتبق سوى الرئيس إذن .

هتف الدكتور (ناظم) فى عصبية :

- عم تتحدثون ؟! ألن يخبرنى أحدكم بما لديكم ؟!

أجابه (رمزى) على الفور :

- لقد توصلنا إلى القضية ، التى يسعى ذلك النووى للثأر من أجلها ، وحصرنا كل من يسعى خلفهم ،

وكان من بينهم اسم رئيس الجمهورية شخصيًا .

امتقع وجه الدكتور (ناظم) فى شدة ، وهو يهتف :

- رئيس الجمهورية ؟! يا إلهى !! هذا مستحيل !

أجابه (رمزى) فى حزم :

- لا توجد مستحيلات الآن يا دكتور (ناظم) .. إننا نتحدث عن وقائع .. ذلك الشاب يسعى للانتقام ، بسبب قضية جاسوس ، حوكم وأدين فى ثمانينات القرن العشرين ، بتهمة التخابر مع (إسرائيل) ، وصدر الحكم بإعدامه حينذاك .. جاسوس اسمه (سالم عمران) .

سأله الدكتور (ناظم) فى توتر :

- وما صلة ذلك النووى بالجاسوس (سالم عمران) هذا ؟!

توقفت (نشوى) عن عملها ، وتبادلت مع (طارق) والدكتور (حجازى) نظرة متوترة ، فى نفس اللحظة ، التى أجاب فيها (رمزى) ، سؤال الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- لم نتوصل إلى تلك الصلة بعد ، ولكننا تيقنا من أنها القضية ، التى يسعى خلفها ، وبناء على هذا ،

فضحيته التالية هى رئيس الجمهورية نفسه .

ثم مال نحو الهاتف ، متابعًا فى حزم :

ـ اسمعنى جيدًا يا دكتور (ناظم) .. لابد من إبلاغ السيد رئيس الجمهورية على الفور ، والعمل على نقله ، بمنتهى التكتم والسرية ، من مقر الرياسة ، إلى مكان سرى مأمون .. وليكن أحد المخابئ النووية مثلاً .

بدا التوتر والتردد على وجه الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، ثم قال فى عصبية :

ـ الأمر ليس بهذه السهولة أيها السادة .. إنكم تتحدثون عن إجراء خاص برئيس الجمهورية شخصيًا ، وهذا أمر يخضع لعشرات القواعد والتفاصيل الدقيقة والمعقدة ، فهناك ارتباطات والتزامات اجتماعية وسياسية ، و ...

قاطعه (رمزى) فى حدة :

ـ فليذهب كل هذا إلى الجحيم يا رجل .. إننا نتحدث عن حياة رئيس الجمهورية وهذا أمر لا يخضع إلا لمبدأ واحد لا غير .. الحياة أو الموت .. فأيهما تختار؟!

تردد الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، ثم كرر فى خفوت :

ـ الأمر ليس بهذه البساطة .

احتقن وجه (رمزى) فى غضب ، وانعقد حاجبا الدكتور (حجازى) فى توتر بالغ ، فى حين غمغم (طارق) :

ـ يا للسخافة !

ومطت (نشوى) شفتيها ، وهى تواصل عملها فى سرعة ، لفك شفرة الإدخال ، فى كمبيوتر النووى .. وفى عصبية ، قال (رمزى) :

اسمعنى جيدًا يا دكتور (ناظم) ..

قاطعه الدكتور (ناظم) فى عصبية :

ـ اسمعنى أنت يا دكتور (رمزى) .. لقد قمتم بالجزء الخاص بكم من العمل ، وأبلغتمونا بالأمر ، وعلينا نحن القيام بالجزء الخاص بنا .. سأعهد بالأمر إلى أحد خبرائنا ؛ لمراجعة كل ما يتعلق بقضية (سالم عمران) هذه ، وسيتم كل هذا بأقصى سرعة ممكنة ، وقبل أن يستيقظ ذلك النووى من سبات ما بعد المذابح ، سنكون قد حسمنا الأمر ، واتخذنا الإجراء المناسب .. انتهت المحادثة .

وانقطع الاتصال على الفور ، فعقد (رمزى) حاجبيه ، وقال فى حنق :

ـ مستحيل ! مستحيل أن يكون هذا هو أسلوب العمل ، فى قضية كهذه !

تطلعت إليه (نشوى) لحظة ، ثم بدا عليها الغضب ، وهى تعاود عملها فى سرعة ، فى حين زفر الدكتور (حجازى) فى توتر ، مغمغمًا :

ـ عجبًا !!

أما (طارق) فمطَّ شفتيه فى ازدراء ، والتفت إلى (نشوى) ، يسألها :

ـ هل توصلت إلى شىء ؟!

أجابته فى اهتمام :

ـ إنها شفرة إدخال محدودة ، وسأتمكن من تجاوزها خلال دقيقة واحدة ، بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

تطلع إليها (رمزى) لحظة ، قبل أن يلقى جسده على أقرب مقعد إليه ، ويداعب ذقنه بسبابته وإبهامه ، مستغرقًا فى تفكير عميق ، فى حين هتفت (نشوى) :

ـ (أكرم) .. لقد توصلت إلى الشفرة .. سيتم فتح الكمبيوتر على الفور .

التقط (أكرم) عبارتها ، عبر جهاز الاتصال الدقيق فى ساعته ، فتطلع فى اهتمام إلى شاشة الكمبيوتر ، ورأى الجهاز يبدأ عمله بالفعل ، بعد أن تجاوزت (نشوى) شفرة الإدخال ، وعبرت كلمة السر ، فانتزع سلك الساعة من الكمبيوتر ، قائلاً :

ـ هذا ما حدث بالفعل .. وهو يحوى وسيطًا هاتفيًا ، بسرعة مليون وحدة فى الثانية الواحدة .. إنه أحد الأنواع المتطورة الحديثة(*) .

أجابته فى اهتمام :

ـ عظيم .. استخدم ذلك الوسيط الهاتفى إذن ، واطلب بوساطته رقم وسيطنا الهاتفى ، واترك لى الأمر بعدها .

ألقى (أكرم) نظرة أخرى شديدة القلق ، على مدخل الوكر ، وهو ينفذ ما طلبته منه ، متوقعًا وصول ذلك النووى ، بين لحظة وأخرى ، وعندما انتهى من عمله ، سمع (نشوى) تقول ، عبر جهاز الاتصال فى الساعة :

ـ عظيم .. جهازنا الآن على اتصال مباشر بجهازه ،

(*) تبلغ أقصى سرعة معروفة للوسائط الهاتفية ، فى الوقت الحالى ثلاث وثلاثون ألفا وستمائة وحدة فى الثانية .



وسأعمل على نقل كل بنك معلوماته إلينا ، بأقصى سرعة ممكنة .

ظهرت على الشاشة علامة نقل المعلومات بالفعل ، و(طارق) يقول :

ـ (أكرم) .. هيا .. غادر ذلك المكان على الفور يا رجل .. لقد فعلت كل ما يمكنك فعله هناك .. أسرع يا رجل ، قبل أن يعود ذلك الوغد ، ويطبق عليك فى وكره .

صمت (أكرم) لحظة ، ثم انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ كلاّ يا (طارق) .. لم ينته عملى هنا بعد .

ثم انتزع قنبلة شديدة التفجير من حزامه ، مستطردًا فى حزم :

ـ ما زالت لدى مهمة ، ستبدأ فور انتهاء (نشوى) من عملها .

وضمّ شفتيه فى قوة ، مضيفًا :

ـ مهمة ستشفى الكثير من غليلى .

ساد الصمت بضع لحظات ، فى الجانب الآخر ، قبل أن يأتى صوت (طارق) ، قائلاً :

ـ افعل ما يروق لك يا رجل .

قالها (طارق) ، وأنهى الاتصال ، فتنهّد (أكرم) فى حرارة ، وأمسك فتيل القنبلة ، قائلاً :

ـ نعم يا رجل .. سأفعل ما يروق لى ... بالتأكيد .

وبقلب يخفق فى عنف ، تعلّقت عيناه بشاشة الكمبيوتر ، التى تعلن أن عملية نقل المعلومات تمضى قدمًا ..

وبمنتهى السرعة ..

أما فى مقرّ الفريق ، فقد ساد صمت عجيب ، و (نشوى) تنقل ذلك الفيض من المعلومات ، من كمبيوتر النووى إلى كمبيوتر الفريق ، عبر الوسيط الهاتفى المتقدم ، فى حين غرق (رمزى) فى لجة عميقة من الأفكار ..

كان يدير الأمر فى رأسه مرات ومرات ..

ولم يكن يشعر بالارتياح قط ..

عقله ، وخبراته ، بالإضافة إلى شىء ما ، يكمن فى باطنه ، كانوا يرفضون إضاعة لحظة واحدة ، دون تحذير رئيس الجمهورية ..

ولكنه كان يحتاج إلى دليل ما ..

نقطة مضيئـة ، تجعلـه يستخرج مـا بأعماقـه ، ويطرحه على عقله الواعى ، ليدرك ما الذى يصيبه بكل هذا التوتر ..

ولكن حاجزًا ما كان يعترض الطريق ، ما بين عقله الباطن والواعى ..

وكان هذا يصيبه بتوتر بالغ ..

إنها أول مرة ، يواجه فيها أمرًا كهذا .

أول مرة ، يعجز فيها عقله عن تحليل موقف ما ..

وهذا ما يقلقه ..

ويخيفه ..

ويملأ نفسه حنقًا وتوترًا ..

المفترض أنه الخبير النفسي للفريق ..

وها هو ذا يحتاج إلى خبير نفسي ..

يا للسخافة !..

صحيح إنه بشر ، وما من بشر كامل ..

فالكمال لله (سبحانه وتعالى) وحده ..

ولكن الخبراء غير مسموح لهم بالخطأ أو التقاعس .. قط ..

« لقد انتهيت من نقل كل بنك معلوماته إلينا .. »

قطعت (نشوى) سيل أفكاره ، وهى تنطق تلك العبارة ، فالتفت إليها فى شرود ، وسمعها تسأل (طارق) فى قلق :

- ترى ما الذى سيفعله (أكرم) هناك ؟!

أجابها (طارق) بسرعة :

- سينسف الوكر بالتأكيد .

قالت فى دهشة :

- ولماذا يفعل ؟! هل جازف بحياته ، للقيام بأمر يمكننا القيام به فيما بعد ؟!

هزّ (طارق) كتفيه ، قائلاً :

- ولماذا لا يقوم به الآن ؟! ما دامت الأمور تسير على ما يرام ، فلماذا يضيع الوقت ؟! فليضرب ضربته على الفور .

اتسعت عينا (رمزى) فى شدة ، عندما اخترقت تلك العبارة الأخيرة أذنيه ، وشعر بأنها قد ارتطمت بذلك الحاجز ، بين عقليه ، الباطن والواعى ، ونسفته نسفًا ، على نحو جعله يقفز من مقعده ، هاتفًا :

- نعم .. مادامت الأمور تسير على ما يرام ، فلماذا يضيع الوقت ؟!

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وغمغم (طارق) :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟!

ضغط (رمزى) أزرار هاتف الفيديو فى لهفة ، وهو يجيب :

ـ ذلك النووى لن ينتظر هذه المرة .. لقد وجد الوسيلة لإعادة شحن خلاياه ، ولم يعد لديه مبرر لإضاعة لحظة واحدة .. لقد اغتال وزير الدفاع ، وسينتقل إلى الضربة التالية مباشرة .. إلى رئيس الجمهورية ..

قبل أن يتم الاتصال ، تذبذبت أضواء الحجرة بغتة فى شدة ، فتوقفت سبابته ، ورفع عينيه إلى المصابيح ، مغمغمًا :

ـ يا إلهى ! إنه يعيد شحن جسده ثانية .

انعقد حاجبا (طارق) فى شدة ، واندفع فجأة نحو (رمزى) ، وأمسك بمعصمه ، قائلاً فى حزم :

ـ الاتصال لن يفيد الآن .

قال (رمزى) فى عصبية :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه بسرعة :

ـ ليس لدينا ما يكفى من الوقت ، للدخول فى متاهات سياسية وروتينية ، أو حتى فى مناقشة حول القواعد التى ينبغى اتخاذها ، لتحذير رئيس الجمهورية من خطر داهم كهذا .. لقد بدأ ذلك الوغد تحركه ، ولابد من اتخاذ طريق سريع وحاسم .

سأله (رمزى) فى توتر بالغ :

ـ مثل ماذا ؟

ـ تطلع إليه (طارق) لحظة فى صمت ، ثم التفت إلى (نشوى) ، وسألها :

ـ هل يمكنك التسلل إلى كمبيوتر أمن الرياسة ؟!

انعقد حاجبا (نشوى) ، وهى تقول :

ـ لن يكون هذا بالأمر السهل ، فهم يستخدمون شفرة شديدة التعقيد ، و ...

قاطعها فى حزم :

ـ لدى تلك الشفرة .

تفجرت الدهشة فى وجوههم جميعًا ، فحدقوا فيه على نحو جعله يقول فى توتر :

ـ سأشرح لكم فيما بعد كيف حصلت عليها .

ثم شد قامته ، متابعًا :

ـ المهم الآن أن تنجحى فى التسلل إلى الكمبيوتر ، دون أن يكشف أمن الرياسة هذا .

غمغمت فى حذر :

ـ مع وجود شفرة الإدخال ، لن يكون هذا عسيرًا .

أشار بيده ، قائلاً :

ـ عظيم ، ولكن الأمر لن يقتصر على الدخول إلى كمبيوتر أمن الرياسة فحسب ، ولكن سيكون عليك تشغيل برنامج خاص داخله ، وبمنتهى السرعة .

غمغمت :

ـ سأبذل قصارى جهدى .

بدا عليه الارتياح ، وهو يقول :

ـ فى هذه الحالة ، سأشرح لك خطتى .

وعندما بدأ الشرح ، تعلقت به عيون الجميع فى انبهار تام ..

فمرة أخرى ، أثبت (طارق) عبقريته ، فى هذا المضمار ..

لقد كانت فكرته جديدة ومبتكرة ، و ...

وحاسمة ..

وإلى أقصى حد .

★ ★ ★

٦ ـ الرئيس ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. التاسعة والربع مساءً .

« من وحدة المراقبة (م ـ ٣) إلى الوحدة الرئيسية .. الساعة ألفين ومائة وخمسة عشر ، وكل شىء على ما يرام .. »

ردَّد رئيس وحدة المراقبة الثالثة العبارة ، وهو يتطلَّع فى اهتمام إلى شاشات المراقبة ، التى تنقل ما يدور حول مقر الرياسة ، ثم أنهى الاتصال ، وفرك عينيه فى قوة ، قبل أن يقول لمساعده الأوَّل :

ـ يا له من موقف ! الأوتار كلها مشدودة إلى أقصى حد ، والجميع فى حالة قصوى من التوتر والقلق .. إننى لم أشهد موقفًا كهذا قط ، منذ التحقت بالعمل هنا .. يبدو أن ذلك الشخص يثير ذعر الجميع بالفعل .

هزَّ مساعده كتفيه ، وقال :

ـ لقد قرأت التقارير بنفسك ، ورأيت ما فعله بالآخرين .

تنهد رئيس الوحدة ، وهو يقول :

ـ أنت على حق يا رجل .. أنا نفسى أشعر بالذعر من هذا الموقف ، وأتمنى لو أمكننا تجاوزه بأية وسيلة كانت .

غمغم المساعد :

ـ المهم أن نتجاوزه فى نجاح .

ابتسم رئيس الوحدة فى عصبية ، قائلاً :

ـ وعلى قيد الحياة .

أراد المساعد أن يقول شيئًا ما ، إلا أن هذا لم يبدُ لائقًا ، فى مثل هذا الموقف ، فاكتفى بهزّة رأسٍ ، قبل أن يعقد ساعديه أمام صدره ، ويواصل التطلع إلى شاشات المراقبة ، و ...

وفجأة ، ظهرت بقعة حمراء كبيرة على الشاشة ، وانطلق أزيز قوى من الأجهزة ، التى راحت تسجّل مستويات عالية من الطاقة ، على نحو يفوق المعتاد ، فقفز رئيس الوحدة من مقعده ، هاتفًا :

ـ رباه ! إنه هجوم ..

اتسعت عينا المساعد فى توتر بالغ ، وهو يحدّق فى بعض الأجهزة ، قبل أن يقول :

ـ ولكن أجهزة الفحص المباشر لا تسجّل أية تغيرات .

حدّق رئيس الوحدة مرة أخرى فى الشاشة ، والبقعة الحمراء المتحرّكة فوقها ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ لا يمكننا أن نخاطر يا رجل .. لا يمكننا أن نخاطر قط .

قالها ، وضغط زر الإنذار ، هاتفًا عبر أجهزة الاتصال :

ـ هنا وحدة المراقبة (م ـ ٣) .. أجهزتنا سجّلت هجومًا ، على الجانب الأيسر لمقرّ الرياسة .. الساعة ألفان ومائة وعشرون .. إنذار عام بالهجوم .

وقبل حتى أن تنتهى عبارته ، كان فريق حراسة السيّد رئيس الجمهورية قد بدأ عمله بالفعل ..

لقد أحاط خمسة منهم بالرئيس وزوجته ، وألبسوهما زيين واقيين ، من طراز (م ف ـ ١٨) ، ونقلوهما فى سرعة إلى نفق سرى ، فى الطابق الأوّل تحت الأرض ، فى مقر الرياسة ..

وفى الوقت ذاتـه ، حلَقت آليًا ، وبوساطة أجهزة خاصة للتحكم عن بعد ، هليوكوبتر تحمل شعار رياسة الجمهورية ، على نحو يوحى بأن الرئيس وزوجته قد استقلاها بالفعل ، وانطلقت سيارة الرئيس المصفَحة الخاصة ، مبتعدة عن المقرّ ..

وبينما تتم تلك الخطة الخداعية المزدوجة ، كانت وسيلة نقل خاصـة ، تنطلق بالرئيس وزوجتـه ، مع طاقم حراستهما الخاص ، فـوق قضيـب مغنطيسى منفرد ، وبسرعة مائتى كيلومتر فى السـاعة ، عبر نفق الطوارئ ، إلى مطار سرى صغير ، يبعد عشرة كيلومترات عن مقر الرياسـة ، حيث كـانت تنتظرهما طائرة نفاثة ، مع ست مقاتلات عسكرية ، من أحدث الأنواع وأكثرها قوة ..

وبسـرعة مدهشـة ، استقلّ الرئيس وزوجتـه ، وطاقم الحراسة الخاص ، تلك الطائرة النفاثة ، التى حلَقت بهم على الفور ، وخلفها المقاتلات العسكرية الست ، لحمايتها من أى خطر ..

وعلى الرغم من أن كل هذا لم يستغرق سـوى خمس دقائق فحسب ، كانت الطائرة تحلق بعدها فى

سماء (مصر) ، فـى طريقها إلـى مقر سرى ، فى قلب الصحـراء الغربيـة ، إلا أن هذه الدقائق الخمس بدت لرجال الأمـن ، الذين تبقَوا فى مقر الرياسة ، أشبه بدهر كامل ، وهم يراقبون الشاشات ، التى بدت فوقها تلك البقعة الحمراء فى وضوح شديد ، وهى تتقدَم وتتقدَم من أسوار المقر ..

وفى حيرة ، قال رئيس فريق المراقبة المباشرة :

ـ عجبًا ! على الرغم مما تنقله الشاشات ، لست أرى شيئًا يقترب .

أجابه أحد رجاله ، فى توتر بالغ :

ـ يقولون إن ذلك العدو يمتلك قدرة مدهشة ، على إخفاء جسده تمامًا .

صمت الرجل لحظة ، ثم غمغم :

ـ ربما .

لم يكد ينطق عبارتـه ، حتى ارتفـع أزيز جهاز الاتصال الخاص به ، فالتقطه من حزامه فى سرعة ، وقال فى انفعال :

ـ من المتحدث ؟!

أجابه صوت مهندس المراقبة الأول ، وهو يقول :

- سيّدى .. إنه إنذار زائف .. لقد خُدعنا .

اتسعت عينا الرجل فى ارتياع ، وهو يهتف :

- خُدعنا ؟!

أجابه المهندس فى حدة :

- نعم يا سيّدى .. لقد تسلّل بعضهم إلى الكمبيوتر ، وأشعل برنامج التدريب المماثل ، الذى سجّل هجومًا فضائيًا وهميًا ، على شاشات المراقبة .

اتسعت عينا الرجل فى هلع ، وقال بصوت مرتجف :

- بعضهم تسلّل إلى الكمبيوتر ؟! هل تدرك معنى ما تقوله يا رجل ؟! هل تعرف كم كارثة تحدثت عنها فى آن واحد ؟! لقد نجح بعضهم فى التسلّل إلى كمبيوتر أمن الرياسة ، الذى يحوى أدق أسرار الدولة وخفاياها .. وليس هذا فحسب ، وإنما نجح أيضًا فى خداعنا بهجوم وهمى ، جعلنا نطلق إنذارًا زائفًا ، على أعلى مستوى ، دفع رئيس الجمهورية لتنفيذ خطة الطوارئ القصوى ، والانطلاق بعيدًا عن مقر الرياسة .. كيف يمكننا شرح ما حدث لسيادته ، بعد عودته إلى هنا يا رجل ؟! هل تعتقد أنه سيكتفى بفصلنا ، أم سيحيلنا إلى محاكمة عسكرية ، أم ....

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلقت من جهاز الاتصال شهقة قوية ، جعلته يتوقّف فى توتر ، ويهتف فى عصبية :

- ماذا يحدث عندك يا رجل ؟!

أتاه صوت المهندس ، عبر جهاز الاتصال ، وهو يصرخ :

- هجوم يا سيّدى .. هجوم حقيقى ، على السور الأيسر .

اتسعت عينا الرجل مرة أخرى ، وأدار عينيه فى حركة حادة إلى السور الأيسر لمقر الرياسة ، و ...

وفى نفس اللحظة ، دوى الانفجار ..

وانطلقت العاصفة ..

النووية ..

★ ★ ★

تحرّك الجميع فى انفعال شديد ، فى مبنى جريدة (أنباء الفيديو) ، وعلى رأسهم (مشيرة) ، التى بدت شديدة التوتر ، وهى تقود فريقها ، هاتفة :

- إنه هجوم على مقر رياسة الجمهورية نفسه ، بعد أقل من ساعة واحدة ، من اغتيال وزير الدفاع .. الأمر لا يحتمل إضاعة لحظة واحدة .. أريد فريق

تصوير متكاملاً ، وثلاث طائرات هليوكوبتر ، وخبير كمبيوتر ، وسيارة بث كاملة ، و ....

اندفعت سكرتيرتها تقاطعها فى توتر ، قائلة :

ـ سيدتى .. زوجك (أكرم) هنا .

التفتت إليها (مشيرة) فى دهشة ، هاتفة :

ـ (أكرم) ؟! هنا ؟!

ثم انعقد حاجباها فى غضب ، وهى تستطرد فى حدة واستنكار :

ـ الآن ؟!

ارتبكت السكرتيرة ، وهى تقول :

ـ سيدتى .. أعلم أن الوقت غير مناسب ، ولكن هيئته جعلتنى أ ...

قاطعتها (مشيرة) فى غضب صارم :

ـ ألا تدركين ما يحدث ؟! ألم يمكنك استيعاب الموقف ؟! إنهم يهاجمون مقر رئيس الجمهورية ، وهذا قد يعنى حدوث انقلاب عسكرىّ ، أو إعلان حرب كبرى ، وعلى الرغم من هذا ، فأنت تخبريننى أن زوجى هنا .. هل تتصورين أن أترك كل هذا ، وأهرع إليه .

ارتبكت السكرتيرة ، وغمغمت :

ـ معذرة ، ولكن ..

قاطعها فجأة صوت (أكرم) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هذا ما ينبغى أن تفعله أية زوجة وفية مخلصة .

التفتت إليه بحركة حادة غاضبة ، ولكن لم يكد بصرها يقع عليه ، فى هيئته المزرية ، والدماء الجافة ، التى تلوث ثيابه وجسده ، وحتى هتفت :

ـ رباه ! ماذا حدث ؟! ماذا أصابك ؟!

أمسك بمعصمها فجأة فى قوة ، وجذبها إلى مكتبها فى شىء من القسوة ، قائلا :

ـ تعالىْ .. سأخبرك فى مكتبك .

هتفت فى حدة :

ـ (أكرم) .. إنك تؤلمنى .. ولن يمكننى إضاعة لحظة واحدة .. الموقف بالغ الخطورة .

أجابها فى صرامة ، وهو يدفعها داخل حجرة مكتبها ، ويصفق الباب خلفهما فى عنف :

ـ لهذا ينبغى أن أتحدث إليك .

جذبت معصمها من بين أصابعه فى حدة ، وقالت فى عصبية :

- يبدو أنك لا تدرك ما يحدث .. إنهم يهاجمون مقر الرياسة .

سألها فى صرامة :

- لماذا لم يُذع خبر انتقالنا إلى المقرّ الصحراوى ، وانتقال (نور) للعلاج فيه ؟!

انعقد حاجباها فى عناد ، وهى تجيب :

- لأنه خبر مدسوس .. مخابراتكم العلمية ألقته فى طريقنا عمدًا ، ولن أصبح مجرّد قطعة شطرنج فى رقعتهم .. لن أعلن الخبر ، قبل أن أعرف الغرض منه بالضبط .

أمسك بكتفيها فجأة فى قوة ، وهو يتطلّع إلى عينيها مباشرة ، قائلاً فى صرامة :

- لن تعرفى يا (مشيرة) .. الخبر بالفعل مدسوس ، ولكنك ستعلنينه ، دون حتى أن تسألى عن السبب .. يكفى أن المخابرات العلمية ترغب فى إعلانه ، وبأقصى سرعة .

تملّصت من يديه فى حدة ، وهتفت :

- كلاّ يا (أكرم) .. لن أفعل .. أنا صحفية حرة ، ولا أحد يمكنه إجبارى على إتيان فعل أرفضه .. ثم

إنك تضيع وقتى الآن ، فلابد أن أعمل على تغطية الهجوم على مقر الرياسة ، قبل أن ..

قاطعها فى صرامة :

- لن تجدى جديدًا هناك .. نفس الصورة البشعة ، التى رأيتها فى كل الأماكن السابقة .. الفارق الوحيد هو أنه لن تكون هناك ضحية هذه المرة .

سألته فى لهفة :

- ماذا تعنى ؟!

أجابها فى بطء :

- ذلك الوغد لم يظفر بالرئيس .

خفق قلبها فى عنف ، وهى تهتف :

- حقًا ؟! ولكن كيف ؟ كيف نجا الرئيس ؟!

تجاهل سؤالها هذا ، وهو يعاود التطلع فى عينيها ، قائلاً فى صرامة :

- أعلنى خبر المقر الصحراوى يا (مشيرة) .

عاودها عنادها الصلب ، وهى تقول :

- كلاّ .. لن أفعل ، ما لم أعرف ما الـ ...

قاطعها فجأة فى ثورة :

- كفى يا (مشيرة) .. كفى .

تراجعت فى خوف ، أمام ثورته المفاجئة ، فى حين تابع هو فى غضب هادر :

ـ تصرفى مرة واحدة ، من منطلق المصلحة العامة ، وليس من ذلك المنظور الشخصى الضيق .. تعاملى مرة واحدة ، باعتبارك مصرية وطنية مخلصة ، تغار على صالح وطنها وأمنه ، وليس كمجرد صحفية ، لا يهمها سوى الفوز بسبق جديد ، تفوز به على منافسيها .. تصرفى مرة باعتبارك جزءًا منا .. من الفريق .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يميل نحوها ، ويغوص أكثر وأكثر فى عينيها ، مضيفًا فى صرامة شديدة :

ـ من (مصر) .

انتفض جسدها فى عنف ، مع كلمته الأخيرة ، وحدقت فى وجهه بشدة ، وكأنها تراه للمرة الأولى ، فى حين اعتدل هو فى وقفته ، ورمقها بنظرة أخرى صارمة ، قبل أن يستدير ، ويتجه نحو الباب ، ثم يتوقف ، ويلتفت إليها ، قائلاً :

ـ أعلنى الخبر يا (مشيرة) .

قالها ، وغادر الحجرة ، وصفق الباب خلفه فى عنف ، تاركًا إياها داخلها ، وقد طار من عقلها كل ما يتعلق بالهجوم على مقر الرياسة ، ولم يعد يشغلها سوى أمر واحد ..

كلمة زوجها عن الوطن ..

عن (مصر) ..

★ ★ ★

تفجر غضب جنونى فى أعماق النووى ، واشتعل به كيانه كله ، عندما فشل فى العثور على رئيس الجمهورية ، فى مقر الرياسة ، على الرغم من القتال العنيف المضاعف ، الذى خاضه هذه المرة ، والذى استنفد كل طاقاته تقريبًا ، قبل أن يسيطر على الموقف ..

لقد واجهه الحرس الجمهورى ببسالة شديدة ، وأطلق رجاله عليه مدافعهم الليزرية ، وقنابلهم العنقودية ، واستخدموا كل وسيلة ممكنة لإيقافه ..

ولكن الشاب كان فى أوج قوته ..

وثورته ..

وجنونه ..



اشتعلت كل ذرة فى كيانه بغضب هائل عنيف ، جعله ينتزع أحد رجال الأمن المصابين من مكانه ، فى قسوة وشراسة

وبكل الطاقة الهائلة فى أعماقه ، راح يطلق كراته النارية ، وصواعقه الجبارة ، وهو يحيط نفسه بغلاف واق مضاعف ، لصد حزم الأشعة ، والقنابل ، والصواريخ .

وكان القتال عنيفًا ، حتى إنه شعر بطاقته تنفد وتنضب فى سرعة ، تفوق ثلاث مرات على الأقل كل ما حدث من قبل ، فى ضرباته السابقة ..

وعلى الرغم من كل هذا ، فقد انتصر ، فى هذه المرة أيضًا ..

لم يكن قد قضى على الجميع ، كما يفعل فى كل مرة ، ولكنه استطاع بلوغ مقر الرياسة ، وانطلق بكل ثورته ووحشيته ، بحثًا عن الرئيس ..

وعندما لم يجده ، اشتعلت كل ذرة فى كيانه بغضب هائل عنيف ، جعله ينتزع أحد رجال الأمن المصابين من مكانه ، فى قسوة وشراسة ، ويسأله :

ـ أين الرئيس ؟! أين ذهب ؟!

أجابه الرجل فى ألم عصبى :

ـ لست أدرى .. لا أحد يدرى .

برقت عينا النووى فى غضب ، وهوى بقبضته على ساق رجل الأمن ، فهشّمها بعنف رهيب ، جعل الرجل يطلق صرخة ألم قوية ، لم تهزّ شعرة واحدة فى رأس الشاب ، وهو يعاود سؤاله بشراسة مخيفة :

ـ أين الرئيس ؟!

هتف الرجل فى ألم :

ـ لا أحد يعلم ..

لم يكد ينطقها ، حتى تلقّى ركلة قوية فى ساقه الأخرى ، التى تحطّمت بفرقعة مخيفة ، وانطلقت منه صرخة ألم رهيبة ، والنووى يهزّه فى قوة ، صائحًا :

ـ أين ذهب الرئيس ؟!

هتف الرجل ، وهو يكاد يفقد وعيه ، من شدة الألم :

ـ لست أدرى .. لا أحد يمكنه أن يعلم ، سوى طاقم الحراسة الخاص ، المرافق له .. هذا جزء من خطة الأمن .. إنهم ينقلونه فور تلقّى أوّل إنذار بالخطر ، عبر نفق خاص ، إلى مطار سرى ، وهناك تنطلق به طائرة الرياسة الخاصة بالطوارئ ، إلى مكان ما ، يتمّ إبلاغ الطيّار به ، بعد الإقلاع بعشر دقائق ، بحيث لا يمكن لمخلوق معرفة مكان الرئيس ، حتى تزول حالة الطوارئ .

اشتعلت عينا الشاب بغضب هادر ، وهو يقول :

ـ أتعنى أنه ليس هنا ، وأن أحدًا لا يدرى أين ذهب ؟!

قال الرجل ، وهو يفقد وعيه بالفعل :

ـ بالضبط .

صرخ الشاب فى ثورة :

ـ لا .. مستحيل !

قالها ، وهو يدير عنق رجل الأمن فى قوة ، كادت تنتزعه من جسده ، فشهق الرجل فى ألم ، وجحظت عيناه فى شدة ، قبل أن يسقط جثة هامدة ، فى حين رفع هو قبضتيه ، ولوّح بهما فى الهواء ، وهو يصرخ :

ـ لا .. لا يمكن أن يفرّ .. لا يمكن .

بلغ مسامعه صوت سيارات الأمن ، والجيش ، وقوات الشرطة العسكرية ، التى تهرع إلى مقر الرياسة ، فانعقد حاجباه فى غضب هادر ، وأدار عينيه فيما حوله ، حتى عثر على مصدر للطاقة الكهربية ..

ومرة أخرى ، تذبذبت كل مصابيح (القاهرة) الجديدة ..

وعندما حاصر الرجال قصر الرياسة ، واستعدّوا للقتال ، كان هو يشقّ طريقه مبتعدًا عن مقر الرياسة ، داخل غلافه الكهرومغنطيسى ، الذى يخفيه عن الأعين تمامًا ..

كان بإمكانه أن يشتبك مع كل تلك القوّات ، دون أن يطرف له جفن ، مع كل الطاقة التى تفجّرت بها عروقه ..

إلا أنه لم يكن يرغب فى إضاعة ثانية واحدة ..

لابد أن يعود إلى مقرّه ؛ ليبحث بوساطة الكمبيوتر عن أى مكان ، يحتمل ذهاب الرئيس إليه ..

وبينما هو ينطلق داخل سيارة جديدة ، إلى وكره ، راح عقله يشتعل بالغضب أكثر وأكثر ..

لقد حقّق انتصارًا ساحقًا على طول الخط ..

وثأر من كل من قتلوا (عمران) ..

فيما عدا الرئيس ..

ضحيته الأخيرة ، التى أعدّ لها برنامجًا حافلاً ..

كان يخطّط لإلقاء القبض عليه حيًا ، حتى يحمله إلى مبنى (التليفزيون) الرسمى ، وهناك يعلن قضيته .

يعلن للعالم كله ، أنه قد فعل كل ما فعل ، انتقامًا لإعدام (سالم عمران) ، منذ أكثر من ربع قرن من الزمان ..

وعندما يدرك العالم هويته ، ويفهم لماذا فعل كل هذا ، سينتقل إلى خطوته الأخيرة ..

سيقتل الرئيس ، على الهواء مباشرة ..

سيجعل العالم كله يرى انتقامه ..

هكذا يكون قد حقّق كل ما أراد ..

وكل ما حلم به ، منذ سنوات طوال ..

وما غذّته به أمه طوال الوقت ..

الثأر ..

الثأر ..

الثأر ..

برقت عيناه مرة أخرى ، وهو ينطلق بالسيارة ، نحو الأطلال القديمة ، فانطلق منهما شعاع من الضوء ، انتزعه من انفعاله ، وأعاده إلى أرض الواقع ، فتمتم فى عصبية :

ـ لابد أن يدفعوا الثمن .. لا أحد منهم سينجو .. لا أحد .

أوقف السيارة ، عند حافة الأطلال ، واتجه في خطوات سريعة نحو وكره ، و ...

وفجأة ، لمح ذلك الخيط من الدخان ، الذي يتصاعد من موضع الوكر ..

وفي عصبية متوترة ، انطلق يعدو نحو الوكر ، وهو يتساءل عما حدث ..

وعندما بلغ المكان ، انفجرت في أعماقه قنبلة هائلة من الغضب والثورة ، وهتف :

ـ اللعنة ! لقد بلغوا مقري ، ونسفوه .. نسفوا كل شيء .. الأبحاث ، والأوراق ، وأجهزة الفحص ..

وانقلبت سحنته على نحو مخيف ، وهو يضيف :

ـ وحتى ذكرياتي .. الأوغاد نسفوا كل شيء ..

لا أحد يمكنه أن يصف تلك النيران ، التي استعرت في أعماقه ..

لا أحد يمكنه أن يشعر بالغضب والثورة ، اللذين سريا في كيانه كله ..

لا أحد ..

ولكن كل تلك المشاعر ، اجتمعت معًا في صرخة واحدة ..

صرخة ارتجت لها المنطقة كلها ..

صرخة أعلنت أن القتال قد انتقل إلى مرحلة أخرى ..

مرحلة ثأر جديد ..

واستكمال لثأر قديم ..

مرحلة تحول فيها الأمر من معركة إلى حرب ..

حرب طاحنة ..

ساحقة ..

نووية ..

★ ★ ★

« ولكن لماذا ؟!.. »

ألقى الدكتور (حجازي) السؤال ، في مزيج من الدهشة والانفعال ، وهو يراجع كل ما أمامه ، من أوراق ونتائج ودراسات ، قبل أن يكمل في حيرة متوترة :

ـ طبقًا للفحوص ، التي أجراها لنفسه ، فهو يعلم أن ساعاته في الدنيا أصبحت معدودة ومحدودة ، وعلى الرغم من هذا ، فهو يقضيها كلها سعيًا وراء ثأر عجيب ، من أجل شخص ، لا نجد خيطًا واحدًا يربطه به !! لماذا يفعل هذا ؟! ما الذي يدفعه إليه ؟!

هزت (نشوى) رأسها في حيرة ، قائلة :

ـ لم أستطع إجابة هذا السؤال قط .. لقد راجعت ملف قضية (سالم عسران) هذا ، أربع مرات على الأقل ، وفحصت كل ما يتعلق بالمحيطين به آنذاك ، ولم أجد بينهم شخصًا واحدًا ، يمكن أن يسعى للانتقام ، بعد ثلاثين عامًا تقريبًا .

أشار (رمزى) بسبابته ، قائلاً :

ـ ما يدهشنى حقًا هو أن ينتظر كل هذه السنين .

قالت (نشوى) فى حيرة أكثر :

ـ وكأنه يسعى للانتقام منذ مولده .

انعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، وهو يردد :

ـ منذ مولده ؟! نعم .. ولِمَ لا ؟!

استغرق طويلاً فى تفكير عميق ، جعل الدكتور (حجازى) يسأله فى لهفة :

ـ فيم تفكر يا (رمزى) ؟!

رفع (رمزى) عينيه إليه فى شرود ، استغرق دقيقة أخرى إضافية ، قبل أن يجيب فى اهتمام شديد :

ـ فيما قالته (نشوى) يا سيدى .. إنه قول دقيق وصحيح للغاية .. ذلك الفتى يتصرف وكأن الهدف الوحيد ، الذى جاء من أجله إلى الدنيا ، هو أن يثأر

لمقتل (سالم عسران) ، ومن كل من شاركوا فى صدور الحكم بإعدامه .. كما لو أنه قد وضع هذا منذ مولده .

ثم التفت إلى (نشوى) ، وسألها فى حماس :

ـ هل كان لـ (سالم عسران) ولد ، عندما صدر الحكم بإعدامه ؟!

هزت رأسها نفيًا ، وهى تجيب :

ـ ليس فى حدود ما سجلته الأوراق والملفات حينذاك .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتمتم :

ـ عجبًا !

ثم نهض من مقعده ، متابعًا فى اهتمام بالغ :

ـ لقد كان هذا هو التفسير الوحيد ، الذى يجعل الأمر كله منطقيًا .. طفل صغير ، يشاهد والده خلف القضبان ، والكل يتهمه بالخيانة ويكلله بالعار ، ووالدته إلى جواره تبكى زوجها ، وتشعر بالغضب والنقمة ، تجاه كل من يدينه ، والطفل يلتصق بها خائفًا مذعورًا ، لا يدرى شيئًا عن خطورة الاتهام ، الذى يحاكم من أجله والده .. كل ما يعرفه هو أن أباه يواجه الخطر ، وهناك من يسعون للقضاء عليه .

ثم فرقع سبابته وإبهامه متابعًا فى حماس :
ويصدر الحكم بالإعدام ، وتنهار الأم ، ويصرخ الأب ، ويهتف باسم ابنه ، ويبلغ رعب الصغير وذعره ذروتهما ، وتنحفر فى ذهنه صورة لكل من آدان أباه ، وأصدر حكمًا بإعدامه ، ويبدو له كل هؤلاء كفريق من القتلة ، انتزع منه والده ، دون أن يدرك عقله الصغير حينذاك ، خطورة الاتهام ، أو عدالة الحكم ..
وتحركَ فى المكان فى انفعال ، مستطردًا :
- ولا تكتفى الأم بما يعانيه الصغير المسكين ، وإنما تضاعف من تدمير مشاعره الداخلية ، وتقضى على ما تبقى من شعوره بالأمن والأمان ، عندما تذكى نيران الغضب وروح الثأر فى أعماقه ، وتطالبه طوال الوقت بالانتقام لأبيه ، من كل من دفعوه إلى نهايته .. وينمو الصغير بعقل مضطرب ، لا يحوى سوى فكرة واحدة ، تعربد فى كيانه كله طوال الوقت .. الثأر .. الثأر .. الثأر .. ومع مرور الوقت ، تلتهم تلك الفكرة ما تبقى من روحه ، حتى لا يعود له من هدف فى الحياة ، سوى تحويلها إلى حقيقة واقعة .
وتوقَّف ليتنهَّد فى عمق ، قبل أن يكمل :

- ثم تلوح الفرصة ، مع أبحاث الدكتور (فؤاد) .. خاصة وأن الأشخاص ، الذين يسعى للانتقام منهم ، قد أصبحوا من كبار المسئولين ، مع مرور الوقت ، فينتحل شخصية جديدة ، ويلتصق بالرجل ، ويتابع أبحاثه أولاً فأولاً ، حتى تحين اللحظة المناسبة ، فيضرب ضربته ، ويبدأ مرحلة الثأر والانتقام ..
هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه ، قائلاً :
- تحليل نفسى رائع يا (رمزى) ، ولكن ينقصه أمر واحد ، وهو أن (سالم عمران) لم يكن له ولد ، حتى تمت محاكمته وإعدامه ..
قالت (نشوى) فجأة فى حماس :
- ربما جاء هذا الولد بعد إعدامه بالفعل .
التفت إليها (رمزى) فى حركة حادة ، هاتفًا :
- يا إلهى ! هذا صحيح .
أما الدكتور (حجازى) ، فسألها فى لهفة :
- ماذا تعنين ؟!
أجابه (رمزى) ، فى حماس جارف :
- تعنى أن زوجة (سالم عمران) لم تكن قد أنجبت ابنها بعد ، عندما حوكم زوجها وأعدم ، وإنما جاء

ذلك الطفل بعد موت أبيه ، ومع شعورها بالمقت والمرارة والكراهية ، راحت ترضع ولدها الغضب ، والرغبة فى الثأر ، وربّته على الانتقام لوالده ، حتى إنها أفسدت عقله منذ طفولته ، وغرست فى أعماقه هدفًا واحدًا ، سعى لتحقيقه طيلة عمره .

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) فى ارتياع ، وهو يقول :

- يا إلهى ! أهذا ممكن ؟!

أجابته (نشوى) فى حماس ، وهى تراجع بيانات الكمبيوتر فى سرعة :

- ولِمَ لا ؟! لقد كان (سالم) متزوجًا من يهودية ، التقى بها فى (روما) ، قبل أن يبدأ رحلته فى عالم الجاسوسية ، ولقد حضرت زوجته تلك محاكمته ، وأدلت بحديث للصحف ، بعد صدور الحكم بإعدامه ، وقالت : إن المسئولين المصريين لفقوا التهمة لزوجها ، وإنها لن تغفر لهم هذا قط ، ثم سافرت بعدها لتستقرّ فى (إسرائيل) ، وانقطعت أخبارها بعدها تمامًا .

سألها (رمزى) فى لهفة :

- هل يمكنك تعقُب بياناتها داخل (إسرائيل) ؟!

أجابته بسرعة وثقة :

- بالتأكيد .. سأسعى لدخول شبكة (الإنترنت)(*) الداخلية ؛ ومنها إلى شبكة المعلومات الإسرائيلية ، وسأسعى للحصول على كل ما يمكنني الحصول عليه بشأنها .

بدا عليه الارتياح ، وهو يجلس إلى جوارها ، قائلاً :

- عظيم .

راقبهما الدكتور (حجازى) فى اهتمام ، قبل أن يقول :

- فليكن .. تابعا أنتما عملية البحث عن هوية النووى ، وسأكمل أنا مراجعة أبحاث الدكتور (فؤاد) مع (طارق) ، حتى عودة (أكرم) ؛ لنبدأ معًا فى إعداد خطة المواجهة القادمة .

(*) الإنترنت : شبكة كبرى للمعلومات ، تربط العالم كله بعضه ببعض ، وتربطه بالمستخدم العادى لأجهزة الكمبيوتر الشخصية ، عن طريق الوسائط الهاتفية (المودم) ، بحيث يمكن لأى شخص معرفة أية معلومات ، عن أية جهة ، تشترك فى الشبكة الدولية ، بمجرد حصوله على عنوان وشفرة الاتصال بتلك الجهة .

ثم تلفت حوله ، مستطردًا :

ـ ولكن أين (طارق) ؟! أين اختفى منذ ما يقرب من نصف الساعة ؟!

انعقد حاجبا (نشوى) وهى تعتدل ، مغمغمة :

ـ (طارق) ؟!

تلفت الدكتور (حجازى) حوله مرة أخرى ، متسائلاً :

ـ نعم .. أين هو ؟!

التقى حاجبا (نشوى) أكثر وأكثر ، واستعاد ذهنها مشهد (طارق) ، وهو يوصل جهاز الكمبيوتر الخاص به ، بأجهزة المرصد القديمة ، ثم لم تلبث أن هزّت رأسها فى قوة ، وكأنما تنفض عنها ذلك المشهد ، وقالت للدكتور (حجازى) :

ـ ربما تجده فى قاعة المرصد .

ارتفع حاجبا الدكتور (حجازى) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ وماذا يفعل هناك ؟!

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ ربما يهوى تلك الأشياء القديمة .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وهو يتجه نحو الممر ، الذى يقود إلى قاعة المرصد ، قائلاً :

ـ لا بأس .. لم يعد هناك ما يدهشنى بشأنه .

تابعته (نشوى) ببصرها ، حتى اختفى داخل الممر ، ثم واصلت عملها على الكمبيوتر .. ولكن تلك النظرة ، المفعمة بالقلق والتوتر ، التى شيّعت بها الدكتور (حجازى) ، لم تخف على زوجها (رمزى) ، الذى سألها فى اهتمام :

ـ ماذا هناك ؟!

التفتت إليه ، قائلة :

ـ هناك شىء غامض ، يربط ما بين (طارق) وهذا المكان .

قال فى حذر :

ـ ربما يهوى تلك الأشياء القديمة ، كما قلت للدكتور (حجازى) .

صمتت لحظة فى تردُّد ، قبل أن تقول :

ـ لست أعتقد أن هذا هو السبب الوحيد .

ثم روت له فى توتر ما رأته ، فى قاعة المرصد ، فاستمع إليها فى اهتمام مشوب بالقلق ، ثم قال :

ـ ربما لا يعنى هذا شيئًا ، أو هو يعنى كل شىء ..
وصمت لحظة أخرى ، ثم أضاف فى حزم :
ـ ولكننا نستطيع تأجيل هذا لما بعد .. المهم أن نركز جهودنا كلها الآن ، لبحث أمر عدونا النووى .
تنهَّدت ، قائلة :
ـ أنت على حق .
وعادت تواصل عملها على الكمبيوتر ..
وفى نفس الوقت ، الذى تبادلا فيه هذه الكلمات ، كان الدكتور (حجازى) يقطع الممر ، الذى يقود إلى قاعة المرصد ، فى خطوات خفيفة سريعة ، حتى بلغ القاعة ، وقبل أن يدلف إليها ، التقطت أذناه فجأة صوت إيقاع إليكترونى يتردَّد داخلها ، فتوقَّف فجأة ، وارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يتساءل فى أعماقه عما يوحى به هذا ..
كان الإيقاع منتظمًا إلى حد ما ، ويتكوَّن من ثلاثة مقاطع مختلفة ، تتكرَّر بفارق زمنى ضئيل للغاية ، على نحو جعلها أشبه برسالة متكرِّرة ..
أو بإشارة محدودة ..
إشارة استغاثة ..

شىء أشبه بالإشارة الدولية الشهيرة (S.O.S)(*) ..
ولكن ليس بالإيقاع نفسه ..
وفى حيرة ، غمغم الدكتور (حجازى) ، وهو يدلف إلى القاعة :
ـ عجبًا ! ما الذى يفعله (طارق) بالضبط ؟!
لم يكد يغمغم بالعبارة ، حتى توقَّفت الإشارة بغتة ، وبدا له (طارق) ، وهو ينهض فى سرعة وارتباك ، من أمام جهاز اتصال فضائى قديم ، وسبَّابته تسرع بإغلاقه فى توتر ملحوظ ، قبل أن يبتسم ابتسامة متكلِّفة ، ويقول :
ـ لقد نجحت فى إصلاح هذا الجهاز القديم .. هل يمكنك أن تصدِّق هذا ؟!
نقل الدكتور (حجازى) بصره بينه وبين ذلك الجهاز القديم لحظة ، قبل أن يقول فى بطء حذر :

(*) إشارة الاستغاثة الدولية (S.O.S) : هى إشارة يتم إرسالها بلغة (موريس) التلغرافية ، من خلال الإشارات البرقية ، واللاسلكية ، وحتى الضوئية ، وهى اختصار للعبارة الإنجليزية (أنقذوا أرواحنا) .. (Save Our Soles) .

- وهل تعتقد أن الوقت يناسب مثل هذا العمل ؟!

رفع (طارق) يده ، ليتخلل شعره بأصابعه ، وهو يغمغم :

- مجرد محاولة للترويح عن النفس ، والتخفيف من توتر الموقف .

ثم اتجه إلى الدكتور (حجازى) ، ووضع يده على كتفه ، قائلاً :

- هل توصلت (نشوى) إلى شىء ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) ، وهو يعود معه إلى حجرة الفريق :

- (رمزى) وضع نظرية جديدة ، وهى تسعى لإثباتها .

أدهشه أن (طارق) لم يسأله عن تلك النظرية ، ولا عن الوسيلة التى تتبعها (نشوى) ، لمحاولة إثباتها ، وإنما بدا وكأن كل ما يهمه هو أن يبعده عن قاعة المرصد ، وهو يسأله :

- هل راجعت نتائج الفحص ، التى نقلناها من كمبيوتر النووى ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) :

- نعم .. لقد راجعتها مرتين ، وهناك نقطة تثير قلقى فيها ، ربما يمكنك أنت حسمها ، باعتبارك خبيرًا فى الطاقة النووية .

سأله (طارق) فى اهتمام :

- وما هى ؟!

أجابه ، مشيرًا بسبابته فى الهواء :

- ذلك التناقص المتواصل فى طاقة خلاياه ، التى تحولت إلى نوع من بطاريات الشحن الحيوية ، المشحونة بالمادة المشعة .. إنها ستبلغ مع الوقت حدًا يجعلها أقرب إلى الكتلة الحرجة للقنابل النووية .

انعقد حاجبا (طارق) فى شدة ، وتوقف فجأة ، وهو يقول فى قلق شديد :

- يا إلهى ! هذا صحيح .

لم يكد يتم عبارته ، حتى هرع (رمزى) إلى الممر ، هاتفًا :

- هل سمعتما آخر الأنباء ؟!

سأله (طارق) بسرعة :

ـ ماذا حدث ؟!

لوّح (رمزى) بذراعيه ، هاتفًا :

ـ لقد ضرب النووى ضربته الجديدة .

وكانت مفاجأة حقيقية ..

وعنيفة .

* * *



٧ ـ جنون ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. العاشرة والنصف مساءً .

شعور قوى بالألم ، سرى فى جسد (نور) ، وهو يستعيد وعيه فى بطء ، داخل وحدة العناية المركزة ، فى الطابق الثالث تحت الأرض ، فى مبنى إدارة الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ..

ومع الألم ، كان هناك صداع عنيف ، جعله يغمغم فى إرهاق :

ـ أين أنا ؟!

أتاه صوت زوجته ، وهى تهتف بكل لهفتها :

ـ (نور) .. حمدًا لله على سلامتك يا (نور) .

فتح عينيه ، متطلعًا إليها ، وإلى دموعها المنهمرة على وجهها فى سعادة ، ثم ابتسم فى ضعف ، مغمغمًا :

ـ هل غبت عن الوعى طويلاً ، إلى هذا الحد ؟!

احتضنته فى فرح ، قائلة :

- حمدًا لله يا (نور) .. حمدًا لله .

احتضنها فى رفق حنون ، وتركها تفرغ دموعها على صدره بضع لحظات ، دارت عيناه خلالها فى المكان ، حتى تعرفه ، ثم سألها فى اهتمام :

- أين (نشوى) ؟! أين الرفاق جميعهم ؟! ماذا فعلتم فى قضية ذلك العدو الخارق ؟!

مسحت دموعها بأصابعها ، مجيبة :

- لقد تطورت الأمور كثيرًا ، خلال الساعات الماضية يا (نور) .

سألها فى قلق .

- كيف ؟!

قبل أن تفتح شفتيها ، ارتفع صوت الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

- سأشرح لك كل شىء يا (نور) .. حمدًا لله على سلامتك .

أدار (نور) عينيه إليه قائلاً فى اهتمام :

- أشكرك يا دكتور (ناظم) .. الواقع أننى أريد معرفة كل التفاصيل .

ربتت (سلوى) على كتفيه ، قائلة فى إشفاق :

- ألا تحصل على قليل من الراحة أولاً يا (نور) ؟!

التفت إليها قائلاً :

- هل تعتقدين أن لدينا الوقت لهذا ؟!

صمتت لحظة ، وهى تتطلع إلى عينيه مباشرة ، قبل أن تتمتم فى خفوت :

- كلا .

اكتفى بقولها هذا ، والتفت مرة أخرى إلى الدكتور (ناظم) قائلاً :

- أريد معرفة كل التفاصيل يا دكتور (ناظم) .

ارتسمت ابتسامة شاحبة على شفتى الرجل ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا (نور) .. بالتأكيد .

وفى سرعة ودقة ، راح يروى له كل ما حدث ، منذ فقد وعيه ، فى حادث السيارة(*) ، وبكل التفاصيل الممكنة ، وشرح له ما توصل إليه فريقه ، متضمنًا تحذير رئيس الجمهورية ، وخدعة الهجوم الزائف ، التى أنقذت حياة الرئيس ، ثم تنهد فى عمق ، متابعًا :

(*) راجع الجزء الأول (العدو الخارق) .. المغامرة رقم (١١٥) .

- ومن الواضح أن نجاة الرئيس قد أثارت غضبه وجنونه ، إلى أقصى حد ، ولم يمكنه احتمال فشله فى القضاء على آخر ضحايا حملته الثأرية ، لذا فقد هاجم وحدة عسكرية محدودة ، على مشارف (القاهرة) الجديدة ، ونجح فى تدمير معظم أسلحتها ، وقتل أكثر من مائة من العسكريين ، فى وحشية مخيفة ، قبل أن يستخدم أجهزة الاتصال فيها ، ليبث رسالة إلى كل وكالات الأنباء العالمية .

وتراجع فى مقعده ، فى توتر ملحوظ ، قبل أن يضيف :

- رسالة أعلن فيها أنه سيواصل حملة القتل والتدمير بلا توقف ، وسينقل المعركة إلى أهداف مدنية ، دون تحديد أو تمييز ، خلال الساعات القليلة القادمة ، مالم يظهر رئيس الجمهورية ، ويعلن عن وجوده فى وضوح .

زوى (نور) ما بين حاجبيه ، وهو يغمغم :

- عجبًا ! الكل يهدف إلى رئيس الجمهورية هذه الأيام(*) ، وكأنما لم يعد لهم خصم سواه .

(*) راجع قصة (بصمة الموت) .. المغامرة رقم (١٦٢) .

تنهد الدكتور (ناظم) فى عمق ، وقال :

- المؤسف أن كل وسائلنا القتالية والدفاعية قد فشلت تمامًا ، فى التصدى لذلك السفاح المجنون يا (نور) ، أو إيقاف حربه المخيفة .. من الواضح أن الدكتور (فؤاد راغب) نجح فى صنع وحش جديد ، لا يمكن السيطرة عليه .. كم أشعر بالارتياح ؛ لأن عقاره لم يعد له وجود .

غمغم (نور) :

- من يدرى ؟!

حدق الدكتور (ناظم) فى وجهه بارتياع ، هاتفًا :

- (نور) .. هل تعنى أن ...

قاطعه (نور) فى حزم :

- لست أعنى شيئًا يا دكتور (ناظم) .. إننا نواجه ذلك الوحش الآن ، وعلينا أن نركز كل جهودنا لإيقافه ، قبل أن يريق المزيد من دماء الأبرياء ، بجنونه الوحشى هذا .

سأله الدكتور (ناظم) فى اهتمام :

- ألديك خطة محدودة ؟!

أجابه (نور) ، وهو ينهض جالسًا على طرف فراشه :

ـ خطة (طارق) ممتازة للغاية ، وتشف عن موهبة رائعة ، فى هذا المجال ، ولكنها تحتاج إلى بعض الإضافات والتعديلات البسيطة .

وهتفت (سلوى) فى دهشة قلقة ، عندما نهض يلتقط ثيابه :

ـ ماذا ستفعل ؟!

أجابها فى حزم :

ـ ياله من سؤال ! سأعود لقيادة فريقى بالطبع .

هتفت معترضة :

ـ فى مثل هذه الظروف ؟!

التفت إليها فى صرامة قائلاً :

ـ هذه الظروف بالذات ، هى التى تدفعنى إلى هذا .

تبادلت نظرة متوترة مع الدكتور (ناظم) ، الذى تنحنح ، مغمغمًا :

ـ زوجتك تقصد أنك قد استعدت وعيك منذ قليل ، وربما ...

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ خصمنا لن يمهلنا لحظة واحدة .

ثم راح يرتدى ثيابه فى سرعة ، وهو يضيف :

ـ حاولوا إقناع (مشيرة) بإعلان خبر انتقال الفريق إلى ذلك المقر الصحراوى ، حتى ولو اضطررتم لإجبارها على هذا ، بأية وسيلة كانت ، وانشروا شائعة تفيد بأننا نحمى الرئيس هناك .. وسيكفى هذا لاستفزاز كل مشاعر ذلك الشاب ، ودفعه إلينا دفعًا ، وعندما يبلغ المقر ، سنعمل على تنفيذ خطة (طارق) ، ولكننا سنضيف إليها خطوة جديدة .

واعتدل فى حزم ، قبل أن يستطرد :

ـ وحاسمة .

نطقها على نحو يوحى بأن الحرب ، ومنذ هذه اللحظة ، ستتخذ مسارًا جديدًا بالفعل ..

وأنها لن تنتهى ، إلا بنهاية أحد الطرفين ..

إما النووى ..

أو فريق (نور) ..

بأكمله ..

★ ★ ★

« ولقد نما إلى علمنا ، من بعض المصادر الوثيقة الصلة بالفريق ، أن أفراده أدركوا أن ذلك العدو الخارق ، الذى تسبب فى سلسلة الاغتيالات الأخيرة ،

يسعى الآن خلفهم ، لذا فقد انتقلوا إلى مقر جديد ، فى قلب الصحراء ، لم يحددوا موقعه بالضبط ، إلا أن أحد مصادرنا نجح فى التوصل إلى أن ذلك المقر الجديد يقع داخل أحد المراصد القديمة ، التى لم تعد موضحة على الخرائط الحديثة ، وأن الفريق قد أعد حجرة طبية خاصة هناك ، لعلاج قائده (نور) ، بعيدًا عن مصادر الخطر .. أما بالنسبة للسيد رئيس الجمهورية ، فما زال موقعه الحالى مجهولاً ، وإن أصدر مجلس الرياسة بيانًا ، أعلن فيه أن الرئيس فى حالة جيدة ، وأنه مازال يصدر قراراته ، ويتابع أحوال الدولة ، من مكان ما بالصحراء الغربية ، وأن اختفاءه المؤقت يعود إلى أسباب أمنية خاصة ، ولا صحة إطلاقًا لما أشيع حول نجاح ذلك العدو الغامض فى اغتياله ، وسيذيع سيادة الرئيس بنفسه بيانًا للشعب ، حول الواقعة وخفاياها ، فى الصباح الباكر بإذن الله .. (مشيرة محفوظ) ، تتحدث إليكم ، من (أنباء الفيديو) .. تابعوا التطورات معنا ... »

اختفت صورتها من شاشة الهولوفيزيون ، وحل محلها ذلك اللحن المميز ، مع اللوحات المتحركة ثلاثية

الأبعاد ، التى تحمل شعار (أنباء الفيديو) ، فصفق (أكرم) فى حماس ، وهو يقول مزهوًا :

- رائع .. (مشيرة) قامت بدورها خير قيام ؟

ابتسم (طارق) ، مغمغمًا :

- أهنئك .

أشار (أكرم) بيده قائلاً :

- هاهى ذى زوجتى التى أعرفها .

نقل (نور) بصره بينهما ، قبل أن يقول :

- قيام (مشيرة) بدورها ، بالإضافة إلى الشائعة التى انتشرت فى المدينة ، موحية بأن الرئيس هنا ، سيدفعان ذلك النووى حتمًا لمهاجمتنا .

ثم التفت إلى (رمزى) ، يسأله :

- أليس كذلك ؟

أجابه (رمزى) فى سرعة :

- بالتأكيد يا (نور) .. إنه يسعى لتحقيق انتقامه الأخير ، وما إن يتصور أن الرئيس هنا ، حتى يهرع إلينا على الفور .

قال (أكرم) فى قلق :

- السؤال هو : كيف سنستقبل هروعه هذا ؟!

أشارت (نشوى) بيدها ، قائلة :

ـ بل كيف سندرك أنه ينقضّ علينا ، إذا ما أحاط جسده بغلاف الإخفاء ؟!

أجابها (نور) فى حزم :

ـ هنا يأتى دور أمك .

أدارت (سلوى) عينيها إليهم ، دون أن تتوقف عن عملها ، وهى تقول :

ـ إننى أعد برنامجى ، وعندما أنتهى منه ، سيمكننا رصد أى صوت ، يقترب من هنا ، فى دائرة نصف قطرها كيلومتر كامل .

أومأ (نور) برأسه فى ارتياح قائلاً :

ـ حمداً لله .. إذن فلدينا وسيلة كشف اقترابه ، ولكن ماذا عن خط الدفاع الأوّل ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يلوّح بمسدسه :

ـ عندما يظهر ذلك الوغد ، سنستخدم أجهزة التحكّم عن بعد ، لتنطلق عليه خمس عشرة دبّابة ، وثلاث طائرات مقاتلة ، بحيث يضطر للاشتباك معهم ، مستهلكاً طاقته ..

تمتم (طارق) :

ـ أتعشّم أن يحدث هذا .

التفت إليه (نور) فى بطء قائلاً :

ـ إننا ننفذ خطتك :

غمغم (طارق) :

ـ أعلم هذا .. أعلم هذا .

كان من الواضح أنه منشغل بشدة فى دراسة أمر ما ، يتعلّق بالحالة ، التى وصلت إليها خلايا النووى ، لذا فقد أدار (نور) عينيه عنه ، وتركه يراجع الأمر مرات ومرات ، مع الدكتور (حجازى) ، ثم سأل (نشوى) :

ـ هل توصلّت إلى هويته ؟!

ضغطت (نشوى) أحد أزرار جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وهى تجيب :

ـ أجل .. وكانت أمامى مفاجأة :

التفت إليها الجميع فى اهتمام شديد ، فتابعت وهى تطالع بعينيها تلك المعلومات ، التى ظهرت على الشاشة :

ـ لقد اخترقت بالفعل شبكة المعلومات الإسرائيلية ، وبحثت عن الملف الخاص بزوجة (سالم عمران) ،

ولم يكن عسيرًا ، فقد كانت تتقاضى معاشًا من جهاز المخابرات الإسرائيلى ، باعتبار أن زوجها قد لقى مصرعه فى أثناء الخدمة ، ولقد كشفت أن المعاش كان موجهًا إليها ، وإلى ابنها (إفرام) ، الذى أنجبته بعد ستة أشهر من موت أبيه ، وأطلقت عليه اسم (إفرام سالوم) ؛ حتى لا يدرك جيرانها أنه عربى الأب ، ولقد حصل (إفرام) على الجنسية الإسرائيلية فور مولده ؛ نظرًا لأنه يهودى الأم(*) ، وعلى معاش والده ، إلا أنه لم يحصل قط على الاحترام اللازم ، فى المجتمع الإسرائيلى ، الذى ما زال ، بعد كل هذه السنين ، يفرّق بين اليهود الشرقيين (السفرديم) ، واليهود الغربيين (الأشكنزيم) ، لذا فقد أبغض الظروف ، التى أتت به إلى (إسرائيل) ، كما حرصت أمه طوال الوقت ، على تذكيره بما أصاب والده ، وكانت تعرض أمامه باستمرار أحد أفلام الفيديو ، لمحاكمة والده ، وتجبره على مشاهدته يوميًا ، وهى تذكى فى أعماقه

(*) قانون الجنسية فى (إسرائيل) لا يمنح الجنسية الإسرائيلية إلا للمولودين من أم يهودية فحسب ، وينصّ على عدم منحها لمواليد الأمهات غير اليهوديات ، أيًا كانت الأسباب .

نيران البغض والكراهية والمقت ، والرغبة العارمة فى الثأر والانتقام .

سألها (أكرم) فى دهشة :

ـ وهل حصلت على كل هذا ، من ملف الأم الإسرائيلية ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ بالطبع ، فهو يحوى أوراق وتقارير العلاج النفسى ، الذى خضعت له مع ابنها ، بعد أن أبلغ جيرانها السلطات عن صراخ ابنها المتواصل ، وضربها العنيف له طوال الوقت .

هزّ (رمزى) رأسه ، مغمغمًا :

ـ يا للمسكين !!

التفت إليه (أكرم) فى دهشة مستنكرة ، هاتفًا :

ـ مسكين ؟!

أجابه (رمزى) :

ـ بالطبع .. لا تفكر فى كل ما فعله ، خلال الساعات الماضية .. حاول أن تعود بذاكرتك إلى طفولته وماضيه .. إلى الأسباب التى خلقت منه ذلك الوحش الرهيب ، الذى انعدمت فى قلبه الرحمة والشفقة ..

قال (أكرم) فى حدة :

- هذا لا يصنع فارقًا ، بالنسبة لكل من لقوا مصرعهم على يديه ، ولا بالنسبة لأسرهم وزوجاتهم وأبنائهم .

أجابه (رمزى) ، محاولاً تهدئته :

- بالتأكيد .. إننى لا أحاول إعفاءه من مسئولية ما فعل ، وما اقترفت يداه ، ولكننى أتحدث عن الأسباب ، التى أدت إلى هذا .

ثم اعتدل فى مجلسه ، مستطردًا :

- حاول أن تتخيل طفلاً صغيرًا ، تجبره أمه كل يوم ، على مشاهدة تفاصيل المحاكمة ، الذى أدين فيها أبوه ، وصدر الحكم بإعدامه ، وتفعل هذا ، وهى تسكب فى أذنيه طنًا من السموم ، وتشعل فى أعماقه رغبة فى ثأر عنيف ، لم يولد مع براءة طفولته وصباه حتمًا ، وتعذبه بروايتها وحديثها ومقتها وغضبها كل يوم ، حتى يشكو جيرانه من صراخه وآلامه ، فيتم تحويله إجباريًا إلى الكشف النفسى ، الذى يقرر احتياجه إلى علاج نفسى ، وعلى الرغم من هذا ، فالأم تواصل بث سمومها ، والتحدث عن المحاكمة ، والثأر والانتقام ، فأية نتيجة تنتظرها ؟!

الجنون بالطبع .. لقد أصابه الجنون حتمًا ، فى حداثته أو صباه .. ومثل هذا النوع من الجنون ، يجمع حتمًا ما بين العبقرية ، والاختلال ، بحيث كان (إفرام) قادرًا على وضع خطة طويلة المدى ، وانتحال شخصية وهوية مصرية ، واحتمال سنوات طويلة من العمل ، كمساعد للدكتور (فؤاد راغب) ، حتى يمكنه تحقيق ثأره وانتقامه فى النهاية .

عقد (أكرم) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

- مازلت أصر على أن هذا لا يصنع فارقًا .

أشار إليه (نور) قائلاً :

- ولكنه يمنحك معلومات بالغة الأهمية عن خصمك يا (أكرم) .

انتزع (أكرم) مسدسه من غمده ، ولوح به ، هاتفًا فى حنق :

- المعلومة الوحيدة التى تعنينى ، بالنسبة لخصم كهذا ، هى أين يكمن مقتله فحسب .

قال الدكتور (حجازى) فى رصانة :

- ربما يكمن مقتله فى أمر كهذا !

مط (أكرم) شفتيه ، على نحو يشف عن أن الحديث

لا يروق له ، ولكنه أعاد مسدسه إلى غمده ، قائلاً فى صرامة :

- لا بأس .. دعونا نر كيف تفيدنا قصة حياته ، عندما تبدأ الحرب ؟!

انعقد حاجبا (طارق) ، وهو يقول :

أخشى أن قصة حياته ليست المشكلة الوحيدة الآن يا (أكرم) .

التفت إليه الجميع فى قلق ، وسألته (سلوى) :

- وما المشكلة الأخرى ؟!

أشار إلى شاشة جهاز تحديد الطاقة الجديد ، مجيبًا فى حزم واقتضاب :

- الطبيعة !

أطلت تساؤلات عديدة من عيونهم ، فتابع بسرعة :

- هذه الخطوط الحمراء الرفيعة ، التى تبدو فى أسفل الشاشة ، تعنى أن الطبيعة لا تعمل لصالحنا ، ولن تفعل خلال الساعات القادمة .. فهذه الخطوط أيها السادة ، تعنى أننا فى بداية عاصفة .. عاصفة رملية .

وكانت مفاجأة للجميع ..

مفاجأة قادرة على إفساد خطتهم .. كلها ..

* * *

تعلقت عينا صاحب متجر أجهزة الكمبيوتر الصغير ، بوجه الشاب المتين البنيان ، الذى دلف إلى متجره فى خطوات واسعة قوية ، واتجه مباشرة إلى أحد أجهزة الكمبيوتر ، الخاصة بالعرض ، وراح يعمل عليه فى سرعة واهتمام ، مستدعيًا بعض البرامج المساحية ، والخرائط القديمة ..

لم يكن ما يفعله أمرًا غير مألوف ، بالنسبة لمتاجر الكمبيوتر ، إذ كثيرًا ما يسعى البعض لتجربة الأجهزة المعروضة ، والقيام ببعض العمليات المعقدة عليها ، كوسيلة لحسم اختيارهم ، وشراء جهاز الكمبيوتر الذى يناسبهم ..

وهو لا يبالى - فى المعتاد - بنوع البرنامج ، الذى يستدعونه عبر جهاز الكمبيوتر ، إيمانًا منه بأن كل شخص يبحث عما يناسبه ..

ولكنه ، فى هذه المرة ، كان شديد الاهتمام والتوتر ، وهو يتطلع إلى ذلك الشاب ، ويقارن بين ملامحه ،

وتلك النشرة التى تم توزيعها ، على كل متجر بالمنطقة ، حاملة صورة (إفرام سالون) ..

كان الشاب منهمكًا فى البحث عن منطقة ما ، على الخرائط القديمة ، فاستغل صاحب المتجر انهماكه وانشغاله ، وضغط أزرار هاتف الفيديو فى حذر ، ولم يكد يرى صورة رجل شرطة على شاشته ، حتى همس فى حذر :

ـ هنا متجر (ملتيميديا) للكمبيوتر .. أعتقد أن الشاب الذى تبحثون عنه هنا .

سأله رجل الشرطة فى اهتمام شديد :

ـ أأنت واثق يا رجل ؟!

أجابه فى توتر :

ـ تمام الثقة .. إنه يقف على بعد ثلاثة أمتار منى فحسب .

واختلس نظرة أخرى إلى الشاب ، مستطردًا فى همس عصبى :

ـ ولكن أسرعوا بالله عليكم .

أجابه رجل الشرطة فى سرعة :

ـ اطمئن يا رجل .. كل شىء سيسير على ما يرام ..

سأتصل بأقرب دورية شرطة ، وستصلك خلال دقيقة واحدة .. ولكن لا تفعل شيئًا ، ولا تحاول إثارة توتره أو شكوكه ، حتى تصل إليك الدورية .

سأله الرجل فى قلق :

ـ وماذا لو حاول الانصراف ؟

أجابه الشرطى فى حزم :

ـ دعه ينصرف ، ولا تحاول اعتراض طريقه قط .

كان (إفرام) يسمع كل حرف ، نطق به صاحب المتجر ، إلا أنه لم يلتفت إليه ، أو يبال حتى بما يسمعه ، فقد انشغل كثيرًا فى فحص الخرائط القديمة ، بحثًا عن ذلك المرصد ، الذى تحدثت عنه (مشيرة) ، فى (أنباء الفيديو) ، والذى لم يعد له وجود على الخرائط الحديثة ..

كل شىء كان يبدو له منطقيًا تمامًا .

الفريق أدرك أنه مستهدف ، بعد محاولة الاعتداء على (نور) ، فى المستشفى المركزى ، فلجأ إلى مقر مجهول فى الصحراء ، كشفه فضول صحفى ، ومن الطبيعى أن يتم نقل قائد الفريق ، إلى ما يبدو للجميع وكأنه أكثر الأماكن أمنًا فى العالم ..

وكذلك الرئيس ..

عاوده ذلك الشعور المخيف بالغضب والثورة ، عندما تذكر أمر الرئيس ، ورغبته فى الانتقام منه ، والثأر لوالده الراحل ، وسرت فى عروقه موجة حارة من السخط ، جعلته يطلق زمجرة مكتومة ، وهو يطالع إحدى الخرائط القديمة ، ويقارنها بواحدة حديثة ..

ومع زمجرته ، هوى قلب صاحب المتجر عند قدميه ، وارتبك بشدة ، فلم يجد أمامه سوى أن يقول :

ـ هل .. هل راق لك الجهاز ؟!

استدار (إفرام) فى حركة حادة ، ليرمقه بنظرة صارمة ، تراجع معها الرجل فى عنف ، كما لو أن النظرة قد أصابته بصدمة عنيفة فى صدره ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يحدق فى وجهه ، فى حين قال النووى بصوت صارم مخيف ، خيل للرجل أنه قادم من أعمق أعماق القبور :

ـ اهتم بشئونك يا رجل .

ثم عاد يواصل عمله على الكمبيوتر ، مضيفًا :

ـ وانتظر قدوم رجال الشرطة ؟

انفجر قلب الرجل داخل صدره ، مع العبارة الأخيرة ،

وشحب وجهه فى شدة ، حتى بدا أشبه بالموتى ، وارتجف جسده كله ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وتمتم دون قصد منه :

ـ بالطبع يا سيدى .. بالطبع ..

قالها ، دون أن يعنى شيئًا ، وقد راعه أن يبدى الشاب معرفته بما فعله ، ولا مبالاته به ، ثم راح يتسلل فى حذر ، إلى خارج المتجر ، فى حين تجاهله (إفرام) تمامًا ، وأخذ يواصل عمله على الكمبيوتر ، بحثًا عما جاء من أجله ..

لقد حدد موقع المرصد القديم ، الذى يجتمع فيه الفريق بالفعل ..

ولكن هذا لم يكن يكفيه ..

إنه بحاجة إلى دراسة أمور أخرى ..

وعديدة ..

خطوط الكهرباء ، التى تغذى المكان ..

الحالة المناخية والجيولوجية للمنطقة ..

موقع النقاط العسكرية والأمنية القريبة ..

وغيرها ..

وغيرها ..

وبينما انهمك فى دراساته ، اقتربت دورية الشرطة من المكان فى هدوء ، وقال قائدها لزملائه الأربعة فى حذر :

ـ لا تحاولوا استفزازه .. سنكتفى بمراقبته وتحديد مساره فحسب ، طبقًا للأوامر .. لا تنسوا أنه بالغ الخطورة إلى أقصى حد .. لا إطلاق للنار .. أو احتكاك مباشر .. هل تفهمون ؟!

أومأ الأربعة متفهمين ، فغمغم ، وهو يقود السيارة إلى منطقة محجوبة عن المتجر :

ـ عظيم .

كان يدور حول المدخل الرئيسى للمتجر ، فى حذر وسرعة ، و ...

وفجأة ظهر صاحب المتجر ، الذى لم يكد يلمح السيارة ، حتى اندفع نحوها ، ملوحًا بذراعيه ، وهاتفًا فى ذعر :

ـ أسرعوا .. إنه هنا .. أسرعوا ..

بلغ هتافه مسامع النووى ، فالتفت إلى المدخل فى حركة حادة ، ثم عاد إلى الكمبيوتر ، وراجع آخر ما يريد من معلومات ، وهو يقول لنفسه :

ـ لا بأس .. لن يضير قليل من النشاط .

قالها ، وغادر المتجر فى هدوء ، وسيارة الشرطة تسعى للاختفاء ، و ...

وانطلقت من النووى كرة نارية ..

وصاح قائد سيارة الشرطة ، وهو ينحرف بها بأقصى سرعة :

ـ رباه ! إنه هو ..

كان يقود السيارة فى براعة مدهشة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد أصابت كرة النار مؤخرة السيارة ، فى أثناء دورانها ، وانفجرت فيها فى عنف ، فارتفع نصفها السفلى ، ووثب فى الهواء ، ثم عادت تسقط أرضًا فى عنف ..

وقبل حتى أن تنقلب على جانبها ، أصابتها كرة النار الثانية ..

وكان الانفجار أكثر عنفًا ..

وسادت موجة من الذعر فى المنطقة ، وراح الجميع يعدون فى كل مكان ، فرارًا من ذلك القاتل الرهيب ، الذى وقف يتطلع فى هدوء إلى النيران التى اشتعلت فى سيارة الشرطة ، وإلى أحد رجال



أما هو ، فقد راح يشحن جسده بطاقة غير محدودة من الكهرباء ، وعيناه تبرقان فى نشوة عجيبة

الشرطة ، الذى انطلق بعدو ، والنيران تلتهم ثيابه وجسده ، مطلقًا صرخات ألم مخيفة ، وكأنه يشاهد عرضًا هزليًا مرحًا ، لإحدى الفرق الجديدة ..

ثم استدار عائدًا إلى المتجر ، الذى خلا من كل رواده ، وانتزع جهاز الكمبيوتر من مكانه فى عنف ، وألقاه أرضًا ، ثم جذب مصدر الكهرباء المتصل به ، وحطَّمه بضربة واحدة ، قبل أن يدفع قبضته وسط الأسلاك العارية ..

وتذبذبت الأضواء فى الماكن بشدة ..

وفى (القاهرة) كلها ..

أما هو ، فقد راح يشحن جسده بطاقة غير محدودة من الكهرباء ، وعيناه تبرقان فى نشوة عجيبة ..

نشوة قاتل سفاح ، يستعد لارتكاب مذبحة جديدة .. وعنيفة ..

وعندما شعر بالقوة تسرى فى عروقه ، انتزع قبضته من وسط الأسلاك ، وأدار عينيه فى المكان ، ثم غادره فى خطوات واسعة قوية ، وما إن أصبح خارجه ، حتى استدار يطلق نحوه كرة نارية جديدة ، فصرخ صاحبه من بعيد :

ـ لا .. ليس المتجر ..

ومع صرخته ، انفجر المكان كله ، واتسعت عيناه فى ذهول وارتياع ، وهو يحدق فى النيران ، التى راحت تلتهم متجره فى شراهة مخيفة ، وضوؤها يتراقص على جسد الشيطان النووى ، وهو يبتعد ، ويتلاشى فى بطء ، متجهًا نحو المرصد القديم ..

نحو ساحة المعركة الجديدة .

والأخيرة ..

* * *

تطلعت (سلوى) فى قلق ، عبر نافذة الحجرة ، إلى الرمال التى تزايدت سرعتها على نحو ملحوظ ، يوحى بأن تلك الرياح لن تلبث أن تتحول إلى عاصفة محدودة ، يصعب معها رصد الأصوات المحيطة بالمكان ، وتحديد موقع ذلك النووى عند وصوله ..

وبكلمات واضحة ، نقلت (سلوى) قلقها إلى لسانها ، قائلة :

ـ أعتقد أن هذا يفسد خطتنا إلى حد ما .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ ويعنى أن ذلك الوغد سينجح فى مباغتتنا ، وقتما يشاء .

هزت (سلوى) رأسها ، قائلة :

ـ ليس بالضرورة يا (أكرم) .. يمكننى رصد إيقاع الرياح المنتظم ، واستخلاص وقع قدمى ذلك الشاب من بينها ، عندما يقترب من هنا .

قال (طارق) فى هدوء ، وهو يتابع أبحاثه :

ـ إنه لن يأتى سائرًا على قدميه بالتأكيد .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يغمغم :

ـ عجبًا ! لماذا يدهشنى دائمًا أن يستقل ذلك الوغد أية وسيلة مواصلات معروفة ؟!

أجابه (رمزى) :

ـ هذا أمر طبيعى ، فكلنا نعلم أنه يمتلك قدرات خارقة ، ونتصور فى بعض الأحيان أنه لا يحتاج إلى ما يحتاج إليه أى شخص عادى .

قال الدكتور (حجازى) :

ـ السؤال الآن إذن ، هو : أية وسيلة مواصلات سيستقلها للوصول إلى هنا ؟!

بدا القلق على وجه (نور) ، وهو يغمغم :

ـ هذا يحتاج إلى دراسة جديدة .. وسريعة .

زفر (أكرم) فى حدة ، وهو يقول :

- اللعنة ! لماذا يصرّ ذلك الوغد دائمًا ، على إثارة كل توترنا طوال الوقت ؟!

لم يجبه أحد عن سؤاله ، فتابع فى حنق :

- متى ينتهى هذا الكابوس ؟!

أجابه (طارق) فى هدوء :

- قريبًا يا رجل .. قريبًا للغاية .

أطلق (أكرم) ضحكة عصبية ساخرة ، وهو يقول :

- يسعدنى تفاؤلك هذا يا صديقى ، ولكن الواقع أن ...

قاطعه (طارق) بهدوئه المستفز :

- ليس تفاؤلا يارجل .. إنه قول علمى بحت .

سأله (نور) فى اهتمام :

- ماذا تعنى يا (طارق) ؟!

عدّل (طارق) وضع منظاره الطبى فوق أنفه ، قبل أن يشير إلى شاشته قائلاً :

- ذلك النووى أخفى ومحا العديد من النتائج ، من الكمبيوتر الخاص به ، ولهذا لم يمكننا نقلها إلينا ، ولكننى فى طريقى للتوصل إليها الآن ، والنتائج الأوّلية كلها تشير إلى أن خلاياه قد عادت إلى التدهور

بسرعة كبيرة ، بعد أن كانت قد بدأت عملية التكيّف مع شحنها بالطاقة النووية ، ويبدو أن إعادة شحنها كهربيًا قد أعاد إليها نشاطها السابق ، فراحت تعدو كالصاروخ نحو نهايتها .

سأله (نور) فى اهتمام بالغ :

- وكيف ستأتى هذه النهاية فى رأيك ؟!

وأضافت (نشوى) فى قلق :

- ومتى ؟!

صمت بضع لحظات ، وهو يطالع النتائج الأوّلية على الشاشة ، ثم تبادل نظرة مع الدكتور (حجازى) ، قبل أن يقول :

- إننا نبذل قصارى جهدنا ، للتوصل إلى ما ستكون عليه النهاية ، ولكننا استطعنا تحديد موعدها تقريبًا .

والتفت يدير عينيه فى وجوههم جميعًا ، قبل أن يضيف فى حزم :

- إنها ستأتى فى غضون الساعتين القادمتين على الأكثر .

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

ـ رباه ! أتعنى أن ذلك الكابوس سينزاح ، خلال ساعتين فحسب ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ لو أنك راجعت ضربات ذلك العدو الخارق ، لأدركت أنه يستطيع أن يفعل الكثير .. والكثير جدًا خلال هاتين الساعتين .

وغمغمت (نشوى) :

ـ لقد استغرقت عملية الهجوم على مقر الرئاسة ثمانى دقائق فحسب .

عاد حاجبا (أكرم) يلتقيان فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ أكان من المحتم أن تخبرينى ؟!

ابتسمت (نشوى) ابتسامة باهتة ، وهى تقول :

ـ كان من الضرورى أن تعلم .. أليس كذلك ؟!

هزّ كتفيه ، ومطّ شفتيه فى حنق ، مغمغمًا :

ـ وما الفائدة ؟!

فجّرت عبارته الأخيرة قلقهم جميعًا ، فتبادلوا نظرة متوترة ، قبل أن يتشاغل كل منهم فى عمله ، وكأنما يحاول محو الفكرة من ذهنه ، وإن بقى فى عقلهم سؤال محدود ، لم يمكنهم انتزاعه منه قط ..

أية وسيلة سيتخذها ذلك النووى ، للوصول إليهم ؟!

وعلى الرغم من حيرتهم وقلقهم ، انهمك كل منهم فى عمله ، فراحت (سلوى) تعد برنامج رصد الأصوات ، بالتعاون مع ابنتها (نشوى) ، وواصل (طارق) والدكتور (حجازى) دراستهما لتحديد مصير النووى ، فى حين راجع (نور) و (أكرم) و (رمزى) استعدادات الدفاع ، ومواقع الدبابات والطائرات ، التى ستهاجم ذلك العدو ، فور وصوله إليهم ، و ..

وفجأة ، هتف الدكتور (حجازى) :

ـ يا إلهى ! مستحيل !

جاء هتافه فى لحظة انهمك فيها الجميع ، واخترق صمتًا خيم على المكان لبعض الوقت ، فاعتدل كل منهم ، والتفتوا إليه فى تساؤل ، جعله يواصل فى انفعال ، وهو يشير إلى شاشة جهاز (طارق) الجديد :

ـ إنها كارثة .. مصيبة .. كيف لم ننتبه إليها ؟!

سأله (نور) فى قلق :

- ماذا هناك يا دكتور (حجازى) ؟!

أشار الرجل مرة أخرى إلى الشاشة ، ولكن الانفعال غلبه ، فلم يستطع التفوّه بحرف واحد ، فى حين قال (طارق) فى توتر ملحوظ :

- تمامًا مثل (سندريلا)(*) ... ستبدأ مرحلة النهاية لذلك النووى ، فى تمام منتصف الليل ، أى بعد أقل من ساعة واحدة ، وليس فى غضون ساعتين كما كنا نتصور .. ولو أردتم الدقة فستأتى بداية النهاية بعد واحد وخمسين دقيقة بالتحديد ..

سأله (أكرم) فى عصبية :

- قل لى يا هذا .. لماذا تتحدث عن بداية النهاية ، وليس عن النهاية بشكل واضح محدود ؟!

أجابه (طارق) بسرعة :

(*) سندريلا : قصة فى الأدب الشعبى الأوروبى ، عن فتاة طيبة بسيطة ، تموت أمها ، ويتزوج أبوها من امرأة قاسية ، لديها ابنتان أخريان ، وتعامل الزوجة الجديدة (سندريلا) فى قسوة ، وتمنعها من حضور حفل الأمير ، ولكن الجنية الطيبة تجعل (سندريلا) أجمل فتيات الحفل ، بشرط أن تغادره قبل منتصف الليل ، وعندما تهرب (سندريلا) ، تترك حذاءها خلفها ، وبوساطته ، يتوصل إليها الأمير ، ويتزوجها .

- لأن النهاية لن تأتى مباشرة يا (أكرم) ، ولكن فى منتصف الليل تقريبًا ، سيكون خصمنا قد استنفد معظم المادة النووية التى شحن بها خلاياه منذ البداية ، وهذا يعنى أن المادة المشعة فى أعماقها ، ستنخفض فى حجمها وكتلتها(*) ، لتبلغ ما نطلق عليه (الكتلة الحرجة) ، وعند هذه المرحلة ، يكون جسده قادرًا على الانفجار .

وانعقد حاجباه فى حزم ، مستطردًا :

- نوويًا .

هوى حديثه على رءوسهم كالصاعقة ، فاتسعت عيونهم فى ارتياع ، وقال (أكرم) فى صوت يحوى توتر الدنيا كلها :

- أتعنى أن ذلك الوغد سيتحول إلى قنبلة ؟

وافقه (طارق) بإيماءة من رأسه قائلاً :

- وقنبلة نووية أيضًا .

هتفت (سلوى) ، وقلبها يخفق فى عنف :

(*) الحجم هو مقدار ما تشغله المادة من فراغ ، والكتلة هى مقدار ما يحتويه الجسم من مادة ، أما الوزن ، فهو قوة جذب الأرض للجسم .

- يا إلهى ! يا إلهى !

وشحب وجه (نشوى) فى شدة ، وهى تنكمش فى مقعدها ، فاحتواها زوجها (رمزى) بين ذراعيه فى رفق ، محاولاً تهدئتها ، فى حين قال (نور) فى توتر :

- ولكن الانفجار النووى لا يحتاج إلى كتلة حرجة فحسب .. لابد من وجود مفجِّر ، ووسيلة لقذف تلك الكتلة الحرجة بالإليكترونيات لبدء الانشطار المتسلسل اللازم لحدوث الانفجار(*) .

أجابه (طارق) :

- هذا صحيح بالنسبة لقنبلة من المعدن أيها القائد (نور) ، ولكنك أمام ظاهرة جديدة .. قنبلة نووية بشرية حية ، تموج خلاياها بالنشاط والحركة والحيوية ، وتتفاعل طوال الوقت مع العديد من سوائل الجسم وإنزيماته وهرموناته ، على نحو يمنحها طبيعة خاصة ، بحيث لن تحتاج إلى المفجِّر ، أو الانبعاث الإليكترونى ، إذ إنها تعمل على تنشيط نفسها بنفسها طوال الوقت ، وكل ما تحتاج إليه هو بلوغ الكتلة الحرجة ، لتصبح قابلة للانفجار .

(*) حقيقة .

ثم تنهَّد ، مستطردًا فى أسى :

- وهذا ما توصَّلنا إليه .. الدكتور (حجازى) وأنا للأسف .

مرة أخرى ، ران على المكان صمت رهيب ، وخيم الوجوم على الجميع ، قبل أن ينفض (نور) عن نفسه هذه المشاعر ، ويقول فى حسم :

- وكم ستبلغ قوة ذلك الانفجار النووى ؟!

هزَّ (طارق) رأسه نفيًا ، وأجاب :

- أكثر مما ينبغى .

سأله (نور) فى صرامة :

- كم ستبلغ قوته بالتحديد ؟!

تنهَّد مجيبًا :

- ما يكفى لابتلاع (القاهرة) الجديدة بأكملها .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يبذل قصارى جهده ، فى محاولة لاستيعاب الموقف ...

كان ما توصَّل إليه (طارق) والدكتور (حجازى) ، يعنى أن كل ما تم التخطيط له لم يعد ذا فائدة ..

كل شىء فشل ..

لم يعد من الممكن مواجهة ذلك النووى قط ..

لم يعد من الممكن حتى أن ...

قبل أن تكتمل أفكاره ، اعترضتها (سلوى) فجأة ، هاتفة :

ـ طائرة تقترب .

هبَّ الجميع من مقاعدهم فى آن واحد ، وهتف (طارق) :

ـ طائرة ؟!

عقد (أكرم) حاجبيه ، مغمغمًا :

ـ يا للوغد !

وسألها (نور) فى توتر :

ـ أى نوع من الطائرات ؟!

أجابته فى انفعال ، وهى تتابع البيانات على جهازها :

ـ طائرة تدريب عادية .. إنها تقترب من الجانب الشرقى .

لم تكد تكمل قولها ، حتى ميَّز الجميع أزيز الطائرة ، التى تقترب ، وتتجاوز المرصد فى سرعة ، فهتف (أكرم) :

ـ لقد تجاوزتنا .

أشار (طارق) بسرعة إلى شاشة رادار عادى قائلاً :

ـ شخص ما قفز منها .

تعلَّقت عيون الجميع بشاشة الرادار ، التى بدت عليها نقطة صغيرة خضراء ، تنفصل عن الطائرة ، وتهبط وحدها فى بطء ملحوظ ، جعل (أكرم) يغمغم :

ـ الوغد يستخدم مظلة .

تمتم (نور) :

ـ هذا أمر طبيعى .

كان من الواضح أنه قد تخلَّى عن الطائرة ، التى بدا سقوطها واضحًا على الشاشة ، ثم لم يلبث دوى انفجارها المكتوم من بعيد ، أن بلغ مسامع الجميع ، فى حين هبطت النقطة الخضراء على مسافة قريبة من المرصد ، فهتفت (نشوى) :

ـ ماذا ننتظر ؟! فلنطلق عليه الدبابات والطائرات .

أجابها (نور) فى توتر أكثر :

ـ مهلاً يا ابنتى .. دعينا نعلم ما نفعله أولاً ، قبل أن .

اختفت النقطة الخضراء فجأة عن الشاشة ، فهتفت (سلوى) :

ـ لقد أحاط نفسه بغلاف الإخفاء ، و ...

بترت عبارتها بغتة ، مع الأزيز الذى تصاعد من

جهاز رصد الأصوات ، فالتفت إليه فى انفعال ، واتسعت عيناها فى ذعر ، هاتفة :

ـ رباه ! إنه لم يختف .

سألها (أكرم) فى عصبية ، وهو يستلّ مسدسه :

ـ ماذا تعنين ؟!

أشارت بيدها إلى الأرض فى ارتياع ، هاتفة :

ـ نفق الصرف الأرضى .. إنه يعدو نحونا ، عبْر نفق صرف تحت الأرض .

شحب وجه (نشوى) ، وهى تقول :

ـ تحت الأرض .

ولم تكد تتم عبارتها حتى دوى انفجار عنيف داخل المرصد ..

انفجار يشير إلى أن النووى قد بدأ هجومه .. داخل المكان مباشرة ..

* * *

٨ ـ العاصفة ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. الحادية عشرة والثلث مساءً ..

لثانية واحدة ، تجمَّدت مشاعر الجميع ، وهم يحدقون فى الممر ، الذى حمل إليهم دوى الانفجار ، من الجانب الآخر للمرصد ، ثم غمغم (أكرم) فى عصبية شديدة :

ـ الوغد هنا .

انطلقت عبارته ، وكأنما تحطِّم حالة الجمود والهلع ، التى أصابت الجميع فشهقت (سلوى) ، واتسعت عينا (نشوى) ، وتراجع الدكتور (حجازى) فى عصبية ، فى حين تلفت (نور) و(أكرم) حولهما ، بحثًا عن مخرج أو مهرب ، و ...

وفجأة ، اختطف (طارق) جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص به ، وهو يندفع نحو الجدار الجنوبى للحجرة ، هاتفًا :

ـ أسرعوا .

سألته (سلوى) مذعورة :

- إلى أين ؟!

خيّل إليهم أنه يندفع نحو الجدار مباشرة ، وكأنما لم يعد يدرى إلى أين يتجه ، إلا أنه توقّف فجأة عند ركنه ، ودفع جزءًا منه ، فدار الجدار حول مركزه ، كاشفًا فجوة كبيرة ، تقود إلى سلم من الرخام ، يهبط إلى مكان ما بأسفل ..

وفى ذهول ، حدّق الجميع فى تلك الفجوة ، ولكن (طارق) هتف فى صرامة :

- أسرعوا .

اشترك هتافه المكتوم ، مع وقع قدمى النووى ، وهو يعبر الممر ، فى طريقه إليهم ، فاندفعوا جميعًا لعبور الفجوة والهبوط فى درجات السلم الرخامى ، و(نور) يسأل (طارق) فى توتر :

- إنه أحد المخابئ السرية القديمة .. أليس كذلك ؟!

أجابه (طارق) فى اقتضاب :

- بلى .

لم يكن هناك وقت للمناقشة والمحاورة ، لذا فقد هبط الجميع إلى المخبأ المظلم ، وتبعهم (طارق) ، الذى ضغط حجرًا فى الداخل ، فعاد الجدار يدور حول

مركزه ، فى الاتجاه العكسى ، ليغلق المخبأ خلفهم ، فى نفس اللحظة التى برز فيها النووى داخل حجرتهم ، وانعقد حاجباه فى غضب شديد ، عندما وجد الحجرة خالية أمامه ، وأطلق صرخة قوية ، صائحًا :

- لن يمكنكم الفرار أبدًا .

ثم أطلق كرة نارية ، نحو الجدار المواجه له مباشرة ، فانفجرت فيه فى عنف ، وأطاحت به على نحو مخيف ، إلى الحجرة المجاورة ، التى اتجه إليها النووى ، وهو يصرخ :

- أين أنتم ؟!

تلفّت حوله داخل الحجرة الأخرى ، وتضاعف غضبه وجنونه ، عندما وجدها خالية بدورها ، فعاد يطلق صرخة غاضبة ، مع صاعقة محدودة ، نسفت جدار الحجرة ، وألقته على رمال الصحراء خارج المرصد .

ومع سقوط الجدار ، اندفعت الرياح والرمال إلى المكان ، على نحو مخيف ، وبرقت عينا (إفرام) فى ثورة وعصبية ، وراح يديرهما فى المكان ، قبل أن يندفع عائدًا إلى الحجرة الأولى ، وكل عرق فى جسده ينبض بغضب لا حدود له ..

فى البداية ، تصوَّر أن وصوله إلى المكان كان جزءًا من خدعة كبيرة ..

خطة لإحضاره إلى المكان ، ثم نسفه عن آخره ..

ولم يكن هذا ليقلقه كثيرًا ..

إنه يعلم أن غلافه الواقى قادر على التصدى لأقوى وأعتى الانفجارات المعروفة ..

ولكن هذا الأمر لم يكن منطقيًا ..

هاهى ذى أجهزة الكمبيوتر ورصد الأصوات فى موضعها ..

وكلها تعمل ..

ولم تنطفئ شاشاتها ، أو تبدأ برامج حمايتها بعد(*) ..

وهذا يعنى أن مستخدميها كانوا هنا منذ قليل ..

قليل جدًا ..

أين ذهبوا إذن ؟!

(*) فى كل أجهزة الكمبيوتر ـ تقريبًا ـ توجد برامج لحماية الشاشة ، وتوفير طاقتها ، وهذه البرامج تبدأ عملها آليًا وتلقائيًا ، إذا ما تركت الأجهزة مفتوحة لفترة طويلة ، وبعض أجهزة الكمبيوتر تغلق نفسها ، إذا ما توقف التعامل معها لفترة محدودة ، يتم ضبطها مقدمًا .

أين ؟!

أين ؟!

انطلقت ثورة الغضب مرة أخرى فى أعماقه ، فلوَّح بقبضته ، صارخًا :

ـ إنكم فى مكان ما هنا .. أنا واثق من هذا .. ولن يمكنكم الفرار منى ، مهما فعلتم ..

سأعثر عليكم ، حتى ولو اضطررت لهدم هذا المرصد حجرًا حجرًا .. هل تفهمون ؟! سأعثر عليكم حتمًا ..

راح يدور حول نفسه ، بحثًا عن المخرج ، الذى غادروا عبره الحجرة ، وتضاعف غضبه وجنونه مرات ومرات ، وعقله يدور بأقصى طاقته فى جمجمته ، بحثًا عن تفسير منطقى لاختفائهم ..

كانت النوافذ كلها مغلقة من الداخل بإحكام ، والمخرج الوحيد للحجرة ، هو عبْر الممر ، الذى أتى منه ..

إذن فقد ذهبوا قبل حضوره حتمًا ..

التقطوا صوت مروره فى نفق الصرف ، أو حتى أزيز الطائرة ، التى أتى بها ، ففروا قبل وصوله إليهم ..

ولكنهم لم يغادروا المرصد ..

إنه لم يسمع صوت انطلاق أية وسيلة من وسائل المواصلات الحديثة ..

لا سيارات ، أو طائرات ، أو حتى زحافات رملية ..

إنهم هنا إذن ..

داخل المكان ..

وسيعمل على ألا يفلتوا منه أبدًا ..

حتى ولو نفذ ما توعّد به ، ونسف كل جدار فى المكان ، حتى يتحولَ إلى كومة من الأنقاض ..

لقد أقسم أن ينتقم ، من كل من تسبب فى موت أبيه ..

ولن يحنث بقسمه هذا ..

أبدًا ..

وبكل غضبه وثورته ، صرخ :

ـ لن تفلتوا .

صرخ بها ، وهو يطلق صاعقة أخرى ، وينسف جدارًا آخر ، لينطلق بحثًا عنهم ..

وداخل المخبأ المظلم ، غمغمت (سلوى) فى رعب :

ـ لقد أصبحنا سجناء هنا .. هل سمعتم الانفجارات ؟!

غضبه سيدفعه لهدم الجدران ، واحدًا بعد الآخر ، حتى يأتى دور الجدار ، الذى يخفى هذا المخبأ ، وتكون نهايتنا ..

قال (نور) فى حزم :

ـ لا يمكننا الانتظار ، حتى يبلغ ذلك الحد ..

قالت (نشوى) مذعورة :

ـ وماذا تقترح يا أبى ؟! هل نخرج لنقاتله ؟!

أجابها فى حزم :

ـ لا يمكننا أن نفعل هذا ، ولكن ..

صمت لحظة ، خُيِّل للجميع خلالها أن ظلمة المكان قد تضاعفت ، قبل أن يغمغم الدكتور (حجازى) :

ـ ولكن ماذا يا (نور) ؟!

لم يجب (نور) سؤال الدكتور (حجازى) ، وإنما سأل (طارق) فى اهتمام :

ـ قل لى يا (طارق) .. هل يحوى مدخل المخبأ أية مواد معدنية ، أو خرسانية ثقيلة ؟!

أجابه (طارق) بسرعة ، وهو يتساءل عن سبب السؤال :

- كلا أيها القائد .. إنه مجرد جدار عادى ، يدور حول محور مركزى ، فوق قاعدة من الصلب .

قال (نور) فى اهتمام :

- عظيم .. وهل يحوى جهاز الكمبيوتر المتنقل ، الخاص بك ، وسيطًا هاتفيًا لا سلكيًا ؟!(*) .

أجابه (طارق) فى حماس ، وكأنما بدأ يستوعب ما يهدف إليه (نور) :

- بالتأكيد .

سأل (أكرم) فى عصبية :

- ألديك خطة جديدة يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- بل مجرد تطوير للخطة القديمة يا صديقى .. سنستخدم الوسيط الهاتفى اللاسلكى لكمبيوتر (طارق) ، لنتصل بأجهزة التحكم عن بعد ، فى الكمبيوتر الرئيسى ، وندفع الدبابات والطائرات للهجوم .. كل ما فى الأمر هو أننا سنهاجم بها المرصد هذه المرة ، وسنجبر ذلك السفاح على الاشتباك معها بمنتهى العنف ..

(*) بعض أجهزة كمبيوتر المفكرة المتنقل (Note Books) ، تحوى وسيطًا هاتفيًا (مودم) لاسلكيًا ، يمكن بوساطته إجراء اتصالات هاتفية ، أو نقل المستندات والمعلومات والوسائط عبر الأثير ، تمامًا مثل الوسائط الهاتفية السلكية ..

فتح (طارق) جهاز الكمبيوتر المتنقل على الفور ، فتألقت شاشته بضوء هادئ ، بدد الظلمة الكئيبة للمكان ، وهو يقول :

- أتعشم ألا يكون قد نسف الكمبيوتر الرئيسى .

غمغم الدكتور (حجازى) :

- فلندع الله (سبحانه وتعالى) ، ألا يكون قد فعل .

تعلقت عيونهم جميعًا بأصابع (طارق) ، وهى تجرى على أزرار الكمبيوتر ، فى سرعة وحماس ، قبل أن يهتف :

- الأجهزة تعمل بكفاءة ، ونحن على اتصال بها الآن .

قال (نور) لابنته (نشوى) :

- فلنبدأ المعركة إذن ..

التقطت (نشوى) الكمبيوتر المتنقل من (طارق) ، وهى تقول :

- سمعًا وطاعة .

كانت شاشة الكمبيوتر تحمل مشهدًا ، أشبه بألعاب الفيديو التقليدية ، وتبدو عليها مواضع الدبابات والطائرات ، التى يتم التحكم فيها آليًا ، ولقد بدأت

(نشوى) عملها ، وهى تقنع نفسها بأنها مجرد لعبة أخرى ثلاثية الأبعاد ، من ألعاب الفيديو ، و ...

وتلقت الدبابات والطائرات إشارة البدء ..

وتحركت ..

وفى نفس اللحظة ، التى اتجهت فيها نحو المرصد ، كان غضب (إفرام) قد بلغ ذروته ، وهو ينسف الجانب الغربى كله من المرصد ، ويصرخ :

ـ مستحيل ! لا يمكن أن يكونوا قد ذهبوا بعيدًا .. إنهم هنا .. جميعهم هنا ، فى مكان ما .. فريق المخابرات العلمية ، والرئيس ، وطاقم حراسته .. كلهم هنا حتمًا .

ومع نهاية صرخته ، أطلق كرة نارية أخرى ، داخل مكتبة المرصد القديمة ..

ودوى انفجار جديد ..

وانهار جدار آخر ..

واحترقت الأرفف الخشبية ، وتطايرت منها أوراق وخرائط مشتعلة ، و ...

وتوقف بصر (إفرام) بغتة ، عند رسم هندسى كبير ، ملصق على جدار المكتبة ، خلف الأرفف المشتعلة ..

رسم يوضح حجرات المرصد القديم ، وقاعته .. والمخبأ السرى فيه ..

وبرقت عينا النووى فى شدة ..

وأضاءت المكان كله ..

الآن فقط أدرك أين هم ؟!

أين اختبأ الجميع ؟!

وانتفض جسده كله فى نشوة ، وهو يطلق ضحكة عالية مجنونة ، ويهتف :

ـ قلت لكم : إننى سأعثر عليكم .. قلتها وفعلتها .

وقهقه مرة أخرى ضاحكًا فى جنون ، قبل أن يتحرك فى سرعة ، عائدًا إلى الحجرة ، التى تحوى ذلك المخبأ .

ولكن فجأة بدأ الهجوم ..

انقضت المقاتلات والدبابات على المرصد القديم ، والتقطت صورة النووى المسجلة فى أجهزة الكمبيوتر داخلها ، فوجهت نحوه قذائفها ..

ودوت عشرات الانفجارات ..

صواريخ المقاتلات ، وقذائف الدبابات ، انفجرت كلها على الدرع الواقى للنووى الذى التفت إليها ، وأطلق صرخة غاضبة :

ـ لن يمكنكم منعى من إكمال انتقامى قط .. لن يمكنكم أبدًا ..

وانطلقت كراته النارية تنسف الدبابات ، وتسحق المقاتلات ، فى غضب جنونى مخيف ..

وفى المخبأ السرى ، كانت آلات التحكم عن بعد تستقبل المشاهد نفسها ، التى تسجلها آلات التصوير ، والفريق يشاهد ما يحدث ، فهتف الدكتور (حجازى) :

ـ رباه ! إنه يقاتل فى شراسة مخيفة .. ذلك الجيش الصغير لن يصمد أمامه لأكثر من دقائق خمس .

قال (نور) فى حزم :

ـ ولكن القتال سيستنزف معظم طاقته .

ثم التفت إلى (طارق) ، على الضوء الخافت ، المنبعث من الكمبيوتر المتنقل ، مستطردًا :

ـ افتح المخبأ .

توترت (نشوى) ، وهى تقول :

ـ هل .. هل سنخرج ؟!

أجابها فى حزم ، و (طارق) يسرع بفتح المخبأ :

ـ لابد أن نرسل الإشارة المتفق عليها إلى (القاهرة) ..

دار جدار المخبأ حول نفسه ، وبدا ضوء الحجرة من خلفه ، فاندفع (نور) إليها ، وضغط أزرار جهاز البث فى سرعة ، ودوى الانفجارات يبلغ مسامعه .

وانطلقت الإشارة من جهاز البث ..

وبلغت (القاهرة) ، فى اللحظة نفسها تقريبًا ..

وعندما حدث هذا ، كان النووى ينسف آخر مقاتلة حربية ، ثم يستدير لمواجهة ثلاث دبابات قوية ، تبقت أمامه ..

كان يدرك جيدًا أن هذا القتال العنيف يستنزف الطاقة المختزنة فى خلاياه ..

ولكن هذا لم يكن يقلقه كثيرًا ..

لقد حدد مسبقًا خطوط الكابلات الكهربية ، التى تمد المرصد القديم بالطاقة ، وسيستخدمها ليشحن جسده وخلاياه مرة أخرى ..

وأخيرة ..

نعم .. كان يدرك جيدًا أنها ستصبح آخر مرة يشحن فيها نفسه بالطاقة ..

وآخر مرة يحصل فيها على القوة الخارقة ..

آخر ما قام به من فحوص ، أبلغه أن الوسيلة التى

استخدمها ، لشحن خلاياه بالطاقة الكهربية ، جعلت ساعاته فى الدنيا محدودة عن ذى قبل ..

ولكنها أكثر فاعلية ..

وعليه أن يحسن استغلالها خير استغلال ..

قبل أن تحين اللحظة الأخيرة ..

ويتحوّل جسده إلى قنبلة ..

وينتهى كل شىء ..

ومن هذا المنطلق ، أطلق صاعقة قوية ، لينسف إحدى الدبابات الثلاث ، و ...

وفجأة ، انقطع التيار الكهربى ..

انقطع فى (القاهرة) الجديدة كلها ..

وما حولها ..

إلى المرصد ..

واتسعت عينا النووى فى غضب وثورة ..

وصرخ :

ـ لا .. لا يمكنهم أن يفعلوا هذا .

ومع صرخته ، أطلق كرة نارية ، انفجرت فى صدر الدبابة الثانية ..

ثم استدار ليواجه الدبابة الأخيرة ..

الآن فقط فهم لماذا استدرجوه إلى هنا ..

ولماذا دفعوه لقتال كل هذه الدبابات والطائرات ..

الآن فقط أدرك ما فعلوه به ..

لقد استنفدوا طاقته ، فى قتال جانبى عنيف ..

ثم استعدوا لقتله بعدها ..

ولكن لا ..

لن تفلح خطتهم أبدًا ..

إنه يعلم أن نهايته ستأتى بعد أقل من ساعة ..

بل من نصف الساعة ..

وهذا يعنى أنه لم يعد لديه ما يخسره ..

سيقاتل حتى آخر رمق ..

وحتى آخر نفس يتردّد فى صدره ..

وبكل غضبه وثورته ، أطلق صاعقة نحو الدبابة الأخيرة ، فسحقها سحقًا ، ثم استدار ، وكيانه كله يشتعل ، ليبدأ معركته الأخيرة ..

المعركة الفاصلة ..

الحاسمة ..

ولكن لم يكن يعلم أن (نور) وفريقه قد استغلّوا لحظات قتاله مع ذلك الجيش الصغير ، الموجّه عن بعد ، ليرتدوا أزياءهم الواقية (م ف ـ ١٨) ، استعدادًا للمواجهة الحاسمة ..



وبكل غضبه وثورته ، أطلق صاعقة نحو الدبابة الأخيرة ، فسحقها سحقًا ، ثم استدار ، وكيانه كله يشتعل ، ليبدأ معركته الأخيرة

وعندما بلغ النووى تلك الحجرة ، التى تضمّ أدوات الفريق ، كان فى مواجهته أربعة أشخاص ، فى دروعهم الواقية ، وكل منهم يحمل مدفعًا ليزريًا شديد التدمير ..

(نور) ، و (أكرم) ، و (رمزى) ، و (طارق) ..

وفى نفس اللحظة ، التى خطا فيها داخل الحجرة ، هتف (نور) :

ـ الآن ..

وانطلقت المدافع الليزرية الأربعة فى آن واحد ..

وأصابت كلها الهدف فى آن واحد ..

وعلى الرغم من قوة الانفجار ، الذى نشأ من التقاء حزم الأشعة الأربعة ، عند جسد النووى ، والذى ارتجّ له المكان كله ..

وعلى الرغم من أن الضربة أصابت جسده كألف ألف صاعقة ..

إلا أنها لم تقتله .

فقط انتزعته من مكانه ، ودفعته مترًا واحدًا إلى الخلف ، ليسقط على ظهره فى عنف ..

ولكن سقوطه لم يستغرق ثانية واحدة ..

لقد وثب واقفًا على قدميه فى سرعة مدهشة ، وأطلق صرخة جبارة ، كاد قلب (سلوى) يتوقف بسبب قوتها وعنفها ، على الرغم من وجودها داخل المخبأ ..

ثم ضمّ قبضته معًا ، وصرخ :

ـ اذهبوا إلى الجحيم ..

وبفرقعة قوية عنيفة ، انطلقت من بين قبضتيه صاعقة زرقاء هائلة ، أضاءت المنطقة كلها تقريبًا ، وهى تنطلق نحو الرفاق الأربعة ..

كانت كل الدراسات ، التى أجريت على الزى الواقى (م ف ـ ١٨) ، تؤكد أنه قادر على احتمال قذيفة موجهة ، من قذائف الطائرات المقاتلة الحديثة ، دون أن يتمزق ، أو يظهر به خدش واحد ..

ولكن يبدو أن تلك الصاعقة كانت تحوى طاقة هائلة ، تفوق بكثير قذائف الطائرات المقاتلة الحديثة ..

لقد انفجرت وسط الرفاق الأربعة ، الذين شعر كل منهم وكأن قنبلة قد انفجرت داخل جسده ، فانتزعته من مكانه ، وألقت به بعيدًا فى عنف رهيب ..

(أكرم) اندفع إلى الخلف واصطدم بالجدار كالقنبلة ، فدار حول نفسه ؛ وقذف داخل المخبأ ..

و (طارق) وجد نفسه يطير إلى اليسار ، ويدور حول نفسه فى الهواء ، قبل أن يرتطم بأحد الجدران فى عنف شديد ، ثم يسقط أرضًا كالحجر ..

و (رمزى) طار من موضعه ، عبْر الجدار المهدوم ، بين حجرة الفريق والحجرة المجاورة ، التى سقط داخلها ، وتدحرج فيها فى قسوة ..

أما (نور) ، فقد اقتلعه الانفجار من مكانه ، ورفع جسده إلى قرب السقف ، قبل أن يسقط مرة أخرى ، ويرتطم صدره بجهاز الكمبيوتر الرئيسى ، الذى سقط معه أرضًا ، وانفجر بدوى شديد ..

وعلى الرغم منه ، تأوّه (نور) فى ألم بالغ ..

لقد تحطّم ضلعان جديدان فى صدره ، وانثنت الأضلاع التى تحطّمت من قبل ..

وكان الألم رهيبًا ..

إلى أقصى حد ..

وفى غضب ، أضاء النووى المكان بعينيه ، وهو يقول :

ـ هل تصوّرتم أن بإمكانكم هزيمتى ، لمجرّد أنكم قد نجحتم فى قطع التيار الكهربى ، وتآزرتم معًا ؟!

خطأ أيها الأغبياء .. خطأ .. مازالت لدى طاقة هائلة ، تكفى لكل ما تبقى لى من وقت .

ثم سأل فى صرامة مخيفة :

ـ والآن .. أين الرئيس ؟!

أجابه (طارق) فى ألم ، وهو ينهض فى صعوبة :

ـ الرئيس ليس هنا بالطبع .. كانت مجرد خدعة ، لاجتذابك إلى هنا .

التفت إليه النووى ، صارخًا :

ـ كاذب .

ومع صرخته ، أطلق نحوه كرة نارية ، تفجرت فى صدر الزى الواقى ، واقتلعته مرة أخرى من مكانه ، لتضرب به الجدار بكل العنف ..

وفى غضب ، صرخ النووى :

ـ أين الرئيس ؟!

نهض (نور) ، ممسكًا صدره فى ألم ، وهو يقول :

ـ (طارق) لم يكن كاذبًا .. الرئيس ليس هنا .

صرخ النووى مرة أخرى :

ـ كاذب .. كلكم كاذبون .. كاذبون .

صرخ بها ، وهو يرفع قبضته ، ليطلق كرة نارية أخرى نحو (نور) ..

وكان (نور) يعلم أن جسده لن يحتمل هذه الضربة العنيفة قط فى حالته هذه ..

وأن كرة النار لو أصابت جسده ، وعلى الرغم من زيه الواقى ، فإنها ستقتله حتمًا ..

وبلا رحمة ..

★ ★ ★

شعر (أكرم) بصدمة هائلة ، عندما انفجرت تلك الصاعقة ، ودفعته قوة مخيفة فى صدره ، فاقتلعته من مكانه ، وقذفت به إلى الخلف ، ليرتطم بجانب جدار المخبأ السرى فى عنف ..

ومع الصدمة القوية ، دار الجدار حول محوره ، وألقى به داخل المخبأ ، فسقط على الدرجات الرخامية ، وتدحرج فوقها كالحجر ، قبل أن يسقط عند قدمى الدكتور (حجازى) ، الذى أسرع يعاونه على النهوض ، وهو يهتف :

ـ رباه ! لقد أصابك بشدة يا ولدى .

كان (أكرم) يشعر بآلام هائلة ، فى كل جزء من جسده ، من أثر الصدمة والسقوط ، وعلى الرغم من هذا ، فقد هب واقفًا على قدميه ، وهو يقول فى عصبية :

ذلك الوغد أقوى مما كنا نتصورْ بكثير .. لقد فقد معظم طاقته ، ولم يعد بإمكانه إعادة شحن جسده ، وعلى الرغم فى هذا ، فقد تلقى حزم الأشعة ، وكأنما تلقى زخة من الماء المنعش ، وكاد يقتلنا جميعًا بصاعقة رهيبة .

هتفت (سلوى) فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! (نور) .. (نور) فى خطر .

قالت (نشوى) ، ودموعها تتفجّر من عينيها ، وتغمر وجهها فى غزارة :

ـ بل كلنا فى خطر يا أمى .. (القاهرة) الجديدة كلها فى خطر .. سينتهى أمرنا جميعًا ، عندما ينفجر .

قال (أكرم) فى عصبية ، وهو يلقى مدفعه الليزرى جانبًا :

ـ لا ينبغى أن نسمح بحدوث هذا قط .

قال الدكتور (حجازى) فى يأس :

ـ وهل توجد وسيلة لمنع الانفجار النووى القادم ؟!

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو ينتزع زيه الواقى قائلاً فى حزم :

ـ بالتأكيد .

كان صراخ النووى الغاضب يبلغ مسامعهم ، وهو يستجوب (نور) و (طارق) ، فخفق قلب (سلوى) ، وهى تقول :

ـ أية وسيلة تلك ، التى يمكن أن تمنع كارثة كهذه ؟!

أجابها (أكرم) ، وهو يستلّ مسدسه من حزامه :

ـ الموت .

لم يفهم أحدهم ما يعنيه ، فتابع فى صرامة :

ـ أن يموت ذلك الوغد ، قبل منتصف الليل .

ألقى الدكتور (حجازى) نظرة سريعة على ساعته ، وقال :

ـ إنها الثانية عشرة إلا سبع دقائق فحسب .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ وهذا يعنى ضرورة أن نتحرك بأقصى سرعة .

ثم التفت إلى (سلوى) قائلاً :

ـ الغلاف الواقى الذى يحيط بذلك الوغد ، عبارة عن ذبذبة كهرومغنطيسية فائقة .. أليس كذلك ؟

أومأت برأسها إيجابًا فى ارتياع ، فتابع :

ـ هل يمكنك استخدام كمبيوتر (طارق) المتحرك ، لاختراق تلك الذبذبة ، وإيقاف عملها ؟!

اتسعت عيناها فى ذعر ، وهى تشير إلى مدخل المخبأ ، قائلة :

ـ لست أدرى ما إذا كان هذا ممكنًا أم لا ، ولكنه لن ينجح لأكثر من ثانية أو ثانيتين .

أجابها فى حزم :

ـ هذا يكفى .

هتفت فى ارتياع :

ـ ولكن ليس لدينا الوقت لهذا .

كانت صرخة النووى الأخيرة تبلغها ، فصرخت بدورها :

ـ إنه سيقتل (نور) .

استدار (أكرم) إلى المدخل فى غضب هادر ، هاتفًا :

ـ الوغد ..

كان النووى فى تلك اللحظة يصوّب قبضته إلى (نور) ، ويطلق كرته النارية ، و ...

وصرخ (طارق) فجأة ، وهو يهبّ من سقطته ، ويعدو نحو (نور) :

ـ لا .. ليس (نور) .

وبكل قوته ، وثب يعترض طريق كرة النار ، قبل أن تبلغ (نور) ..

وارتطمت به الكرة النارية بكل قوتها ..

وانفجرت فى صدر زيه الواقى ..

واندفع (طارق) إلى الخلف فى عنف ، وارتطم بـ (نور) فى قوة ، انتزعت هذا الأخير من مكانه ، مع آلام رهيبة فى جسده كله ، ليصطدم الاثنان بجدار المخبأ ، ويتدحرجان معًا داخله ، على نحو يكفى لتحطيم كل عظمة فى جسديهما ، قبل أن يستقرا داخله ..

وبكل الذعر الذى ملأ كيانهما ، اندفعت (سلوى) و (نشوى) نحو (نور) ، هاتفتين :

ـ (نور) .. رباه !! هل .. هل .

تحرك النووى فى صرامة نحو المخبأ وهو يقول :

ـ قلت لكم : إنكم لن تفلتوا منى قط .

تراجع الدكتور (حجازى) ، هاتفًا فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! إنه قادم إلينا .

تلفت (أكرم) حوله فى عصبية ، بحثًا عن مخرج آخر ، ووقع قدمى النووى يقترب ..

ويقترب ..
ويقترب ..
ثم ظهر شبحه عند مدخل المخبأ ..
وتألقت عيناه فى قوة ..
وانبعث منهما ذلك الضوء الساطع ..
وغمر الجميع ..
وانتفض جسد (نشوى) فى ارتياع ..
وشهقت (سلوى) ..
وتجمدت أطراف الباقين ..
ورفع النووى قبضته نحوهم ، و ..
وكانت لحظة رهيبة ..
وقاتلة ..

★ ★ ★

« (إفرام) ... » .

انطلق الاسم فى المكان ، بصوت (رمزى) ، الذى عاد عبْر الجدار المنهار ، فانعقد حاجبا (إفرام) فى شدة ، وخفض قبضته ، وهو يلتفت إليه فى حركة حادة ، فتابع (رمزى) ، وهو يلهث ، من فرط التعب ، والألم ، والانفعال :

ـ (إفرام سالوم) .. أو (إبراهيم سالم عمران) .. أليس هذا هو اسمك الحقيقى ؟!

زمجر (إفرام) كوحش كاسر ، وهو يقول :

ـ لقد توصلتم إليه .. هذا يعنى أنكم أكثر براعة مما كنت أتصور ..

اقترب منه (رمزى) فى حذر ، وهو يقول :

ـ لسنا نعرف هويتك الحقيقية فحسب يا (إفرام) ، ولكننا نفهم أيضًا لماذا تسعى للانتقام .

انعقد حاجبا الشاب فى شدة ، وهو يتابع حركته فى حذر ، فغمغم الدكتور (حجازى) فى توتر :

ـ (رمزى) يستغل موهبته فى الطب النفسى .

همس (أكرم) فى عصبية ، وهو يلقى نظرة على ساعته :

ـ لن يفيد هذا ، بعد ست دقائق من الآن .

ثم عاد يتلفت حوله قائلاً فى حدة :

ـ لابد أن أجد وسيلة للخروج من هنا .. لابد .

فتح (طارق) عينيه فى صعوبة ، وأشار بيده إلى ركن المخبأ فى تهالك ، مغمغمًا :

ـ فتحة التهوية .. فتحة التهوية .

تألقت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

ـ آه .. بالفعل .. أشكرك يا صديقى .. أشكرك كثيرًا .

ثم التفت إلى (سلوى) قائلاً فى لهفة :

ـ ابذلى قصارى جهدك لإزالة الغلاف الواقى .. ابدئى الآن .. لسنا ندرى كم من الوقت ، سيتمكن (رمزى) من خداعه .

أومأت برأسها إيجابًا فى توتر بالغ ، وهى تلتقط كمبيوتر (طارق) المتحرك ، فى حين اندفع هو نحو فتحة التهوية فى الركن ، وانتزع غطاءها بجذبة قوية ، فسألته (نشوى) فى هلع :

ـ (أكرم) .. هل ستذهب هكذا ، بمسدس عادى ، ودون زى واق ؟!

ابتسم فى سخرية عصبية قائلاً :

ـ وفيم أفادنا هذا ؟

ودون أن يضيف حرفًا آخر ، دفع جسده داخل فتحة التهوية ، واختفى فيها تمامًا .. وفى نفس الوقت الذى فعل فيه هذا ، كان (رمزى) يقول للشاب فى لهجة هادئة وبكلمات مدروسة خبيرة :-

ـ لقد حوكم والدك وأدين وصدر ضده الحكم بالإعدام ، وكل هذا قبل حتى أن تولد ، وعلى الرغم من هذا فقد تعذبت منذ مولدك ، بسبب ما حدث .. أمك لم تتوقف يومًا واحدًا عن تذكيرك بالأمر ، بل وعرضت عليك يوميًا فيلمًا تسجيليًا للمحاكمة إلى الحد الذى حطم أعصابك وأعصابها .

ازداد انعقاد حاجبى (إفرام) ، وهو يستمع إليه فى صمت شارد ، شجع (رمزى) على التقدم أكثر وأكثر ، وهو يتابع :

ـ جيرانكما فى (تل أبيب) لم يحتملوا صراخها وصراخك فأبلغوا الشرطة ، و ...

واصل (رمزى) التحدث إليه فى بطء ، محاولاً إضاعة المزيد والمزيد من الوقت ، عسى أن يجد رفاقه وسيلة للنجاة ..

والعجيب أنه فعل هذا ، دون أن يدرى أن (أكرم) كان ، فى تلك اللحظة ، يدفع جسده بكل قوته ، عبر ماسورة التهوية ، وهو يقول لنفسه فى توتر :

ـ أسرع يا (أكرم) .. أسرع .. الماسورة ضيقة ، ورائحتها العفنة تكاد تزكم أنفك ، وتفقدك الوعى ،

ولكن كل رفاقك يعتمدون على نجاحك .. احتمل ، وقاوم ، وادفع جسدك إلى الأمام .. هيا .. أسرع .. أسرع .. الوقت أمامك ضيق للغاية .. ولا ينبغى أن تضيع ثانية واحدة .. هيا .. هيا .

كان جسده محشورًا داخل تلك الماسورة الضيقة ، ويدفعه إلى الأمام بصعوبة ، ولكنه لم يتوقف لحظة واحدة ، حتى بلغ ماسورة رأسية قصيرة ، فانحنى داخلها ، ودفع جسده إلى أعلى فى صعوبة حتى بلغ ماسورة أفقية أخرى كاد عاموده الفقرى ينكسر وهو يدفع نفسه داخلها قائلاً فى صوت لاهث من فرط الإرهاق والانفعال :

ـ هيا يا (أكرم) .. لا تجعل هذا يوقفك .. ابذل قصارى جهدك لتتحول إلى رجل مطاطى ، حتى يمكنك عبور تلك المنحنيات الضيقة ، ولكن لا تستسلم أبدًا مهما كان الثمن .. هيا .

ومع الجهد الخرافى الذى يبذله ، كان (رمزى) يواصل حديثه مع (إفرام) قائلاً :

ـ العلاج النفسى كان يمكن أن يفيدكما معًا .. أمك وأنت ، لولا أنها أصرت على العودة لممارسة الضغوط

نفسها بعد انتهاء فترة العلاج ، مما حطم أعماقك ، ودمر كيانك ، وجعلك تتصور أن الوسيلة الوحيدة أمامك ، للتخلص من هذا العذاب ، هى أن تنغمس فى الفكرة حتى النخاع ، وتقتنع بأن هدفك فى الحياة هو الثأر والانتقام .. فقط الثأر والانتقام .

برقت عينا (إفرام) فى شدة ، وهو يقول :

ـ نعم .. الثأر والانتقام .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى صرامة وحشية :

ـ وبمناسبة الحديث عن الثأر والانتقام .. أين الرئيس ؟!

ازدرد (رمزى) لعابه ، وهو يقول :

ـ الرئيس ليس هنا .

انعقد حاجبا (إفرام) فى غضب هادر ، ورفع قبضته نحو (رمزى) ، الذى تراجع فى خوف ، مكملاً :

ـ ولا يمكن أن يكون هنا .. المكان غير صالح لحمايته ، على الوجه الأمثل .. لقد كانت مجرد خدعة ؛ لجذبك إلى هنا فحسب .

تضاعف غضب الشاب ، وهو يصرخ :

- مجرد خدعة .. خدعة حقيرة .. هل تصوّرتم أنكم تستطيعون الظفر بى ، لمجرد أنكم نجحتم فى اجتذابى إلى هنا ؟! هراء .. ربما فقدت الكثير من طاقتى ، ولكن المتبقى يكفى لنسفكم جميعًا ..

ثم صرخ مرة أخرى :

- جميعًا .

هوى قلب (سلوى) بين ضلوعها ، وارتجفت أصابعها ، التى تعمل بأقصى سرعتها على جهاز الكمبيوتر المتنقل ، وهى تتمتم فى لهجة من يوشك على الانهيار :

- كل شىء معدّ يا (أكرم) .. أسرع بالله عليك .. أسرع .

ومع آخر حروف كلماتها ، صرخ الشاب فى غضب هادر :

- لقد خدعتمونى ، وأفسدتم حملتى الانتقامية ، والشىء الوحيد الذى تستحقونه هو الموت .. الموت وحده .

وفى نهاية العبارة ، ضمّ قبضته فى قوة ..

وانطلقت من قبضته كرة نارية ، ارتطمت بـ (رمزى) ،

وتفجّرت فى صدر زيه الواقى ، فانتزعته من مكانه فى عنف ، ودفعته أمامها لستة أمتار كاملة ، عبر الجدار المحطّم ، لتلقى به مرة أخرى على رمال الصحراء ..

ومع الآلام الرهيبة فى صدره ، تأوّه (رمزى) مرة واحدة ..

ثم فقد وعيه ..

وعندما كانت الرمال الرفيعة ترتطم بجسده ، كان النووى يلتفت إلى الباقين ، وعيناه تبرقان على نحو مخيف ، وينبعث منهما ضوء مبهر ، غشّى عيون الجميع ، وهو يزمجر فى وحشية رهيبة هاتفًا :

- للمرة الأخيرة .. أين الرئيس ؟!

ضغطت (سلوى) آخر أزرار إعداد برنامجها ، ثم وضعت سبّابتها على زر الإدخال ، هاتفة فى أعماقها ، وجسدها كله يرتجف فى قوة :

- أسرع بالله عليك يا (أكرم) .. أسرع .

أما (نشوى) فقد عجزت ساقاها عن حملها ، فسقطت أرضًا هاتفة :

- (رمزى) .. زوجى (رمزى)، وابنى (محمود) .. رباه ! إنها النهاية .. إنها النهاية .

وتراجع الدكتور (حجازى) فى ارتياع، فى حين أغلق (طارق) عينيه فى ألم ومرارة، وأمسك (نور) صدره محاولاً التغلب على آلامه وهو يهتف :

- ألا يمكنك أن تفهم أبدًا .. الرئيس ليس هنا .

وقال (طارق) فى حدة :

- اذهب إلى الجحيم يا هذا .. لن تظفر بالرئيس قط .

اشتعلت عينا (إفرام) أكثر وأكثر، وهو يصرخ :

- نعم أيها المتحذلق .. سأذهب بالتأكيد إلى الجحيم، ولكننى لن أذهب وحدى ..

وضمّ قبضتيه إلى بعضهما البعض، مستطردًا فى ثورة :

- كلكم ستذهبون معي .. (القاهرة) الجديدة كلها ستذهب معى إلى الجحيم .

صرخت (سلوى) و (نشوى)، واتسعت عيون (نور) و (طارق)، والدكتور (حجازى) مع تألُّق قبضتى (إفرام) على نحو يوحى بأنه يستعد لإطلاق

أقوى صاعقة فى تاريخه الدموى القصير، وهو يصرخ فى جنون وحشى :

- سنذهب جميعًا إلى الجحيم .. جميعًا .

ولكن فجأة، ومع آخر حروف صرخته، وقبل أن يكتمل دويها تحطَّمت فجأة فتحة التهوية فى سقف الحجرة على مسافة خمسة أمتار من (إفرام) وهبط منها (أكرم) حاملاً مسدسه التقليدى ..

وبمنتهى السرعة والعنف، التفت إليه النووى ..

وبكل غضبه وثورته أطلق صرخة رهيبة ..

وأدار قبضته اليمنى نحوه ..

وانطلقت كرة النار ..

وصرخت (سلوى) :

- الآن يا (أكرم) .. الآن ..

ولم يكن جسد (أكرم) قد بلغ الأرض بعد، عندما دار حول نفسه، وأطلق من مسدسه ثلاث رصاصات، نحو النووى ..

وفى اللحظة التالية مباشرة، شعر بالنيران تحرق ذراعه اليسرى، قبل أن تواصل الكرة طريقها، عبر الممر الطويل، وتنفجر فى نهايته ..

ومع الانفجار ارتطم (أكرم) بأرضية الحجرة ، وتدحرج فوقها لحظة ، ثم هبَّ واقفًا على قدميه ، وهو يصوِّب مسدسه إلى النووى مرة أخرى ..

وانعقد حاجباه فى شدة ..

لقد نجحت (سلوى) فى إيقاف عمل الغلاف الواقى لثانية واحدة ، نجحت رصاصات (أكرم) خلالها فى إصابة (إفرام) ..

فى صدره مباشرة ..

ومع ألمه وذهوله ، اقتلعت الرصاصات جسد (إفرام) ، ودفعته أمامها لمتر واحد ، فارتطم بجانب مدخل المخبأ ، وارتدَّ مرة أخرى فى عنف ، ليسقط على وجهه أرضًا ..

وانطلقت من حلقه آهة ألم بدت أشبه بصرخة غاضبة ، وهو يتحسَّس الدماء على صدره ، ويقول :

ـ مستحيل ! لا يمكنك أن تفعل بى هذا .. مستحيل !

وحدَّق فى وجه (أكرم) لحظة ، قبل أن يُطلق فجأة ضحكة مجنونة ، ويلوِّح بقبضته ، على الرغم من الدماء المتدفقة من صدره فى غزارة ، ويهتف :

ـ ولكنك فعلتها يا رجل .. قتلتنى .. فعلت ما تصوَّرت أنه مستحيل ! ولكن عزائى الوحيد هو أننى سأحملكم جميعًا معى إلى الجحيم ، بعد دقيقة واحدة .

قالها ، وقهقه ضاحكًا مرة أخرى ، على نحو جنونى مخيف ، فانعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يقول :

ـ خطأ هذه المرة أيها الوغد .. ستذهب بالفعل إلى الجحيم ، ولكنك ستذهب وحدك .

وبلا تردُّد ، ضغط زناد مسدسه مرة أخرى ، وهو واثق من أن (إفرام) لن يمكنه إحاطة نفسه بالغلاف الواقى ، فى هذه الظروف ..

وصرخ النووى :

ـ لا .. لا ....

وامتزجت صرخته بدوى رصاصة (أكرم) ، قبل أن تخترق رأسه ، من منتصف جبهته تمامًا ، وتنفذ من مؤخرة الرأس فى عنف ..

وتهاوى النووى جثة هامدة ، عند قدمى (أكرم) .. الذى أغلق عينيه فى قوة ، مغمغمًا :

ـ أرأيت أيها الوغد .. هأنتذا ستذهب إلى الجحيم .. وحدك ..

وبعد عبارته ، ران على المكان صمت رهيب مهيب ، إلا من صوت الرياح المحمّلة بالرمال خارج المرصد القديم .

وفي قلب الصمت ، كانت أفكار ومشاعر الجميع تنطلق ..

ربما كانوا يفكرون في كل ما حدث .. كل في مضماره ..

في العنف ، والقسوة ، والغموض ..

فيما يثير حيرتهم بشأن (طارق) ، عضو الفريق الجديد ..

في مصير رئيس الجمهورية ..

ولكن الشيء الوحيد ، الذي جمع بينهم في تلك اللحظة ، وفي قلب الصمت ، كان خفقات قلوبهم ، التي تعلن أن الحياة قد انتصرت مرة أخرى ..

وأن العاصفة النووية قد انتهت ..

وإلى الأبد .

* * *

[تمت بحمد الله]